الامبراطور فردريك بربروسا

والحملة الصليبية الثالثة

تأليف

الدكتور حامد زيان غانم

كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٩٧٧




mohamed khatab

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لعب فردريك الأول « بربروسا » دورا خطيرا فى تاريخ الشرق والغرب فى النصف الأخير من القرن الثانى عشر الميلادى . فبالإضافة إلى كونه من أقوى الشخصيات التى تولت حكم ألمانيا منذ أواخر القرن العاشر الميلادى ، وأنه أحيى مجد الامبراطورية الألمانية ، وخاض غمار صراع طويل ضد البابوية للحفاظ على مكانة الإمبراطورية المقدسة وسيادة الامبراطور ، فقد شارك كذلك فى أحداث الشرق ، فأسهم أثناء حكم عمه كونراد الثالث فى الحملة الصليبية الثانية ، وعقد أواصر الصداقة مع سلاجقة الروم وحكام أرمينية الصغرى ، وناصب الامبراطور البيزنطى العداء .

أما الدور الحاسم الذى لعبه فردريك الأول فى الشرق فيتمثل فى اشتراكه فى الحملة الصليبية الثالثة ، لإسترداد بيت المقدس من يد صلاح الدين عقب موقعة حطين .

والفترة الواقعة بين ربيع عام ١١٨٩ م ويونيو عام ١١٩٠ م وهى الفترة المنحصرة منذ خروج فردريك الاول من ألمانيا على رأس جيشه للمشاركة فى الحملة الصليبية الثالثة وحتى غرقه فى نهر « السالف salef بأرمينية . هذه الفترة تجلت فيها براعة فردريك بربروسا العسكرية والسياسية ، فبالإضافة إلى ما أشتهر به فردريك بربروسا من تفوق عسكرى ومهارة فى فن قيادة الجيوش والنظام والدقة التى اتصف بها ، فإن براعته وحنكته السياسية ظهرت واضحة فى معالجة المشاكل التى قابلته أثناء زحفه اتجاه الأراضى المقدسة .

وقد بدأت هذه الدراسة بتناول أحوال صليبى الشام عقب موقعة حطين . ثم تحدثت عن سفارة جوسياس إلى غرب أوربا ودوره فى استثارة أهالى الغرب الاوربى من أجل المشاركة فى حملة صليبية لإنقاذ صليبيى الشام من يد صلاح الدين، ودور البابوية فى الدعوة للحملة الصليبية المنشودة .

ثم تناولت بالشرح والتحليل شخصية الامبراطور فردريك الأول ، والعوامل التى دفعته إلى المشاركة فى الحملة الصليبية الثالثة ، والإستعدادات التى بذلها لإنجاح مشروع حملته .

ثم تتبعت بالتحليل حملة فردريك بربروسا منذ خروجها من راتسبون عام ١١٨٩ م ، وحتى غرق فردريك فى نهر السالف عام ١١٩٠ م ، متتبعاً علاقاته السياسية بكل من ملك المجر والامبراطور البيزنطى وسلطان سلاجقة الروم وأمير أرمينية ، وموقف كل منهم من حملة فردريك الأول.

كذلك أوضحت الموقف بالعالم الاسلامى بعد سماعه باقتراب حملة فردريك

بربروسا الألمانية الضخمة ، والإجراءات التي اتخذها السلطان صلاح الدين الأيوبي لمواجهة ذلك الخطر .

وشرحت أحوال الحملة الألمانية منذ غرق قائدها فردريك بربروسا وحتى وصول بقاياها إلى عكا ، موضحا مدى الضعف والتفتت الذى صارت إليه الحملة الألمانية الضخمة المنظمة .

وبعد ، فإنني أرجو أن يجد القارىء الكريم متعة وفائدة في هذه الدراسة الموجزة لتاريخ حملة صليبية قادها امبراطور من أشهر أباطرة الغرب الأوربي في العصور الوسطى ، ضد العالم الاسلامي .

والله ولى التوفيق

حامد زيان غانم

القاهرة في { غرة ربيع الآخر ١٣٩٧
{ ٢١ مارس ١٩٧٧

أحوال صليبى الشام عقب موقعة حطين :

إنتهت معركة حطين عام ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) بين المسلمين والصليبين بتدمير شبه شامل للقوات الصليبية ، وأسر عدد كبير من أمرائهم فضلا عن ملك بيت المقدس جاى لوزجنان (١١٨٦ — ١١٦٢ م) ، وانتصار ساحق للسلطان صلاح الدين الأيوبى والمسلمين (١). وما تبع ذلك من إستيلاء صلاح الدين على معظم أنحاء مملكة بيت المقدس فيما عدا مدينة صور ، الذى سمح صلاح الدين للصليبين بأن يرتحلوا إليها من بقية المدن الساحلية التى إستولى عليها(٢)، وإذا كان الصليبيون بمدينة صور قد فقدوا فى تلك الآونة زعيماً قوياً لهم نتيجة ما أصروا فيه من ضياع عقب موقعة حطين ، فإن الأقدار شاءت أن ترزقهم بزعيم قوى الشكيمة من أسرة « مونتوفرات » الإيطالية ، ألا وهو كونراد مونتوفرات ابن

---

(١) Stevenson . The Crusaders in The East, p. 251—254, Oldenbourg . Les Croisades, p. 457—458.

(٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ص١٤٧ ،
ابن واصل : مفرج الكروب جـ٢ ص ٢٧٠ — ٢٧١ ،
رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٢ ص٧٦٢ .

المارکیز مونتوفرات أغنى أمراء شمال إيطاليا، ويتصل بصله قرابة بالإمبراطور فردريك الاول بربروسا، كما أنه شقيق وليم مونتوفرات الذى كان أول زوج للاميرة « سبيل » وريثة مملكة بيت المقدس (١).

وكان كونراد هذا مقيما بالقسطنطينية حيث كان متزوجا من إبنة الإمبراطور البيزنطى . وظل كوانرد مقيما بالقسطنطينية حتى عام ١١٨٧ م حينما فر هاربا منها إلى عكا بسبب إتهامه فى جريمة قتل، وما أن وصل إلى عكا حتى وجد المدينة بيد المسلمين ، وعندما سأل عن حقيقة الوضع بها ، إتضح له أن السلطان صلاح الدين أستولى على عكا وبقية مدن مملكة بيت المقدس عقب هزيمة الصليبيين بحطين(٢)، ويبدو لنا أن أخبار هزيمة الصليبين بحطين لم تكن قد وصلت بعد إلى أسماع كونراد أثناء مقامه بالقسطنطينية ، والمعروف أن السلطان صلاح أرسل بشارة إنتصاره على الصليبيين إلى أصدقائه بالقسطنطينية خاصة الإمبراطور البيزنطى إسحق الثانى أنجيليوس (١١٨٥ — ١١٩٥ م)(٣).

William of Tygre . Hist of deeds beyond the sea, vol (١) 2,182 — 233.

تم هذا الزواج فى أواخر عام ١١٧٦ م .

(٢) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية حـ٢ ص ٧٩٢—٧٦٣ .

(٣) المقريزى : السلوك حـ١ ق١ ص ٩٨ ، حاشية ١ ،

Cam . Med. Hist, vol 4, pp. 483 — 603.

وما أن علم كونراد بحقيقة الوضع بعكا حتى بادر بالرحيل عنها متجهاً إلى صور قبل أن يكشف أمره الجند المسلمون ، وكانت صور فى ذلك الوقت قد اكتظت بالصليبين الوافدين إليها من مختلف مدن مملكة بيت المقدس المتداعية تحت أقدام صلاح الدين ، دون أن يوجد بها قائد أو زعيم قوى الشكيمة يجمع شملهم ، لذلك بعد أن وصل كونراد مونتفرات إلى صور رحب به الصليبيون وعقدوا عليه العزم من أجل قيادتهم وإنقاذهم من الوقوع فى قبضة صلاح الدين الأيوبى [1].

والواقع أن صليبى صور كانوا محقين فى ظنهم بكونراد إذ أثبتت الأحداث أنه أهلا بثقة أهل صور به، وكان كما وصفه المؤرخ المسلم المعاصر له بهاء الدين ابن شداد بقوله إنه كان « رجلا عظيما ذا رأى وبأس شديد فى دينه، وصرامة عظيمة »[2].

وتولى كونراد مهمته فى شجاعة ومهارة ، إذ أعاد تنظيم صفوف الصليبيين بمدينة صور ، وتهيأ للصمود أمام الحصار الذى فرضه عليه صلاح الدين الأيوبى . والواقع أن حصانة ومناعة أسوار وقلاع مدينة صور ساعدت كونراد كثيرا فى صمود المدينة والبقاء بعيدة عن متناول يـــد صلاح

---

(١) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٢ ص٧٦٢ — ٧٦٣ .

(٢) سيرة صلاح الدين ، ص ٩٨ .

الدين (١). وإذا أضفنا إلى شجاعة ومهارة كونراد وحصانة أسوار وقلاع صور تلك الأعداد الغفيرة من الصليبيين الذين وفدوا إليها من مختلف أنحاء المدن الصليبية التي وقعت في يد صلاح الدين ، لعرفنا سر قوة مدينة صور في تلك الفترة ، وقد بلغت قوة مدينة صور في تلك الفترة، درجة تعدت معها من الصمود في وجه جيوش صلاح الدين إلى إنزال بعض الهزائم بجيوش وأساطيل صلاح الدين نفسه (٢).

ولم يكتف كونراد بهذا وإنما عوّل على إرسال رسله إلى البابوية وملوك وأمراء غرب أوربا من أجل طلب النجدة السريعة ، والمشاركة في إعادة بناء الصرح الصليبي المنهار بمنطقة الشرق مرة أخرى .

---

(١) عن حصانة ومنـــاعة أسوار صور أنظر : رحلة ابن جبير ، ص ٣٠٤ — ٣١٠ .

(٢) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص٩٨ .

سفارة جوسياس إلى أوربا :

يشير أحد المؤرخين المعاصرين إلى أن كونراد مونتوفرات الذى كان فى ذلك الوقت « مركيس صور » إمعاناً منه فى إستثارة عاطفة أهالى غرب أوربا المسيحيين ودفعهم إلى المشاركة فى حملة صليبية من أجل إنقاذ صليبى الشرق ، إذ « صوَّرَ القدس فى ورقة عظيمة، وصور فيه صورة القيامة، التى هم يحجون إليها ، ويعظمون شأنها ، وفيها قبر المسيح الذى دفن فيه بعد صلبه بزعمهم ، وذلك القبر هو أصل حجهم ، وهو الذى يعتقدون نزول النور عليه فى كل سنة فى عيد من أعيادهم ، فصور القبر وصور عليه فرساً عليه فارس مسلم راكب عليه ، وقد وطىء قبر المسيح وقد بال الفرس على القبر »[1] . وأرسل كونراد هذه الصورة إلى معظم بلاد غرب أوربا ، وما من شك أن مثل هذه الدعاية أثرت كثيرا فى نفوس أهالى غرب أوربا ولاقت إهتماما كبيرا من أهالى الغرب الاوربى . وفى نفس الوقت أرسل كونراد فى صيف نفس العام (١١٧٧ م) مبعوثاً من قبله يحمل رسائل إلى ملوك وامراء غرب أوربا يشرح لهم فيها ما وصل إليهُ حال صليبى الشام من سوء ويحثهم فيها على ضرورة الاسراع لنجدتهم ، وكان هذا المبعوث هو « جوسياس » رئيس أساقفة صور[2] .

---

(١) ابن شداد : سيره صلاح الدين ، ص ١٣٦ — ١٣٧ .

(٢) Archer : The Crusades, P· 308,

Grousset : Hist des Croisades, T 3, P 8,
Tout ..The Empire and The papacy,pp. 298—299,
Oldenbourg ; p. 462 .

واستقل جوسياس سفينته واتجه إلى غرب أوربا ، حيث وصل أولا إلى صقلية ، وقابل حاكمها الملك وليم الثانى (١١٦٦ — ١١٨٩ م) وروى له ماحل بالاراضى المقدسة من دمار وخراب على يد صلاح الدين ، وتشير المصادر إلى أن وليم الثانى تأثر تأثرا كبيرا لسماعه هذه الأنباء وأسرع بتلبية طلب جوسياس ونجدة صليبى الشام ، وعقد صلحاً مع الامبراطور البيزنطى إسحق الثانى انجليوس عام ١١٨٨ م (٥٨٤ هـ) حتى يتفرغ للمشاركة فى القتال الدائر رحاه ببلاد الشام بدلا من تشتيت قواته ، كما أرسل إلى بقية ملوك أوربا يدعوهم للانضمام إليه فى مشروع حملة صليبية جديدة ، ولكنه لم ينتظر رد أولئك الملوك وإنما بادر بالعمل منفرداً وأرسل أسطولا إلى سواحل بلاد الشام مجهزاً بعدة وفيرة من الجند والسلاح[1] ، وقد رام أن يكشف عن الفرنج البلية[2] .

أما جوسياس رئيس أساقفة صور ومبعوث كوزاد مونتوفرات ، فقد واصل سيره من صقلية إلى إيطاليا ماراً بالبابوية حيث لم يستطع البابا « أوربان الثالث » (١١٨٥ — ١١٨٧ م) أن يتحمل أنباء كارثة سقوط بيت المقدس فى يد المسلمين

---

(١) عماد الدين الأصفهانى : الفتح القسى ص ٢٣٠ ،

Archor . oP. cit, p 308

Lane—pool . Saladin,p 245 .

(٢) عماد الدين الأصفهانى : المصدر السابق ص ٢٣٠

عن تفاصيل الحملة التى أرسلها وليم الثانى إلى بلاد الشام عام ١١٨٨ م انظر : حامد زيان : العلاقات بين جزيرة صقلية ومصر والشام ص ٥٧-٦١

فات حزناً على ضياع بيت المقدس فى أكتوبر عام ١١٨٧م[١] . ولم يكن البابا جريجورى الثامن (١١٨٧م) فى حاجة إلى أحد يستثير حماسته الدينية من أجل إرسال نجدة لصليبى الشام ، فوجه الدعوة إلى ملوك غرب أوربا من أجل التكاتف لإنقاذ الأراضى المقدسة ونبذ الحروب الداخلية بينهم ، وسارع بعقد إتفاقية سلام مع الإمبراطور فردريك بربروسا أنهى بها مؤقتاً الصراع بين البابوية والإمبراطورية حتى يستطيع الجميع التفرغ لمواجهة ما أصاب ممتلكات الصليبيين ببلاد الشام من تداع واضمحلال على يد صلاح الدين[٢] .

وتابع جوسياس جولته فى أوربا ، فوصل إلى بلاط الامبراطور فردريك الأول بربروسا ، امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة ، الذى رحب بجوسياس ترحيباً كبيراً ، ووعده بتلبية طلبه وإعداد حملة صليبية كبيرة من أجل استعادة بيت المقدس ، وفى نفس الوقت قام فردريك بربروسا بدور إيجابى فى إعادة الوئام بين ملكى إنجلترا وفرنسا المتخاصمين، وتم عقد صلح بينهما، وتعاهدا على الإشتراك فى الحملة الصليبية المنشودة[٣] .

---

(١) Hayward : A history of the popes p 189

Tout op. cit, p 271

(٢) Hayward op. cit p. 189—190

Tout op cit, p 271

سعيد عاشور : أوربا فى العصور الوسطى ج١ ص ٣٨٧ .

(٣) Archer, P307 =

شخصية فردريك الأول بربروسا :

والامبراطور فردريك الأول هذا ، هو الذى آل اليه حكم ألمانيا بعد وفاة عمه كونراد الثالث عام ١١٥٢م[١] . ويعتبر فردريك الاول من أقوى الشخصيات التى تولت حكم ألمانيا منذ عهد أوتو الأول « العظيم » (٩٦٢ — ٩٧٣م)[٢]. قضى فردريك مدة حكمه الطويلة البالغة سبعة وثلاثين عاما فى كفاح مستمر من أجل إعادة عظمة الامبراطورية الرومانية المقدسة ، امبراطورية قسطنطين وجستنيان وشارلمان وأوتو . وكما يشير أحد كتاب سيرة فردريك الأول أن كل آماله كانت تنحصر فى تحقيق هدف واحد وهو إعادة عظمة الامبراطورية الرومانية ومجدها السالف[٣] .

واتخذ فردريك الأول لقب بربروسا Barbarossa ، لما كان لديه من لحية حمراء اللون ، كثة الشعر ،[٤] ، وكان فردريك الأول متوسط القامة ، سليم

= وبعد عقد هذا الصلح بدأت البابوية فى جمع الأموال من أجل تجهيز الحملة الصليبية الثالثة . تلك الأموال التى أطلق عليها أسم عشور صلاح الدين .

أنظر Hayward P 190.

(١) Thompson Hist of the middle ages p 210

(٢) Barraclough The origins of modern Germany, p 167

Austin Lane Poole . Fredrick Barbarossa and Germany, P381.

(٣) Tout op. cit P. 246—247

(٤) Thompson op.. cit, p 210

البنية ، متناسق الأعضاء ، شعره أصفر طويل ينسدل على وجهه ويغطى أذنيه ، عيناه زرقاوتان صافيتان لامعتان ، أنفه حسن الشكل ، غليظ الرقبة ، بشوش الوجه ، مرح ، راسخ الخطى ، ملء الصوت ، واضح النبرات ، تمتع بصحة جيدة وإن كان قد أصيب فى أواخر أيامه بالحمى ، كذلك كان فردريك ذا أخلاق حسنه ، عفيفا ، نبيلا ، متدينا ، مثابرا على أداء الصلوات ، تقيا ، يؤدى الصلاة بخشوع تام ، يحترم جميع القساوسة ، أنفق عشر دخله على المشروعات الدينية . أحب وطنه حباً كبيراً وكان غيوراً على رعاية أمور بلاده . خاض غمار معارك كثيرة وحقق كثيرا من الإنتصارات(٢) ، التى اعتبرها الوسيلة الوحيدة من أجل تحقيق السلام . وكان شغوفا بالبناء والتعمير ، أنفق اموالا طائلة على البناء ، خاصة إعادة بناء المبانى القديمة فى كل من ألمانيا وإيطاليا . وتمتعت كل من ألمانيا وإيطاليا خلال حكمه برخاء وفير ، فازدهرت الزراعة ونشطت التجارة ، وتدفقت الحركة التجارية بقوة فى كل أنحاء أمبراطوريته ، وأصبحت المدن أكثر غنى ، وحصلت على حرياتها ، وتمتعت بالحكم الذاتى مثلها فى ذلك مثل البارونات والاساقفة . كما أن فردريك الاول خاض غمار صراع عنيف ضد البابوية ، من أجل تحقيق عظمة الامبراطورية وسموها واستقلالها عن عن الكنيسة(٢) .

---

(١) Austin Lane poole op. cit pp.387—397

(٢) The Late Count UGo Balzani . Fredrick Barbarossa P413, =

وقضى فرودريك الأول أوقات فراغه فى القنص والصيد ، وقراءة كتب التاريخ ، خاصة تاريخ أجداده العظام ، أباطرة الامبراطورية الرومانية . وكان فردريك الأول يجيد التحدث بالألمانية ، ويفهم اللاتينية ولا يستطيع التحدث بها بطلاقة . وبالإضافة إلى ذلك شغف فردريك الأول بحب الأدب(١) .

أما ملابس فردريك الأول وهيئته العامة ، فلم يهتم كثيراً بأمر ملابسه وثيابه وارتدى الثياب الألمانية المعتادة .

وعلى الجملة ، كان فرودريك بربروسا على حد وصف المؤرخ توت Tout أعجوبة الدنيا «The wonder of the world» .

ويعتبر فردريك بربروسا من الأباطرة العظام الذين خلدهم التاريخ الألمانى ، وحتى الآن مازالت كتب التاريخ الألمانى تحتفظ بأسطورة قديمة تشير إلى أن فردريك بربروسا لم يمت ولكنه نائم ، وأنه سوف يظهر من جديد ليعيد السلام والعدل للعالم ، ويقيم مملكة يكون هو فيها ظل الله على الأرض(٢) .

* * *

= Tout op cit, p 272

(١) Thompson op. cit p210,

Tout op. cit, p 272

(٢) Tout : op. cit, pp. 272—273.

والملاحظ أن هذه الأفكار من خصائص العصور الوسطى ، وقد قال بذلك بعض فرق المسلمين عن الأئمة، فنادوا بأنهم سيعودون من جديد ليملأوا الدنيا =

وتولى فردريك الأول « بربروسا » حكم ألمانيا، فى وقت كانت فيه المملكة الالمانية تمر بمرحلة هامة وخطيرة ، إذ أحاط بها الأعداء من الداخل والخارج، ففى داخل ألمانيا كان الجلفيون وهم أمراء سكسونيا وبافاريا ، الذين ناصبوا آل هوهنشتاوفن العداء ، وتحينوا الفرص للقضاء عليهم . أما فى الخارج فكانت البابوية بإيطاليا ، حيث ناصب البابارات أباطرة وملوك ألمانيا العداء . وإذا كان فردريك بربروسا قد بدأ عهده بعقد معاهدة كونستانس مع البابا أيوجنيوس الثالث (١١٤٥ — ١١٥٣ م) عام ١١٥٣ م، الذى تعهد فردريك الأول بمقتضاها البابا بعدم إتفاق أو صلح مع روجر النورمانى ملك صقلية، وألا يمد يد المساعدة لمدن اللومباردية التى أشعلت نار الثورة ضد البابوية . وبعد أن أستقرت الامور لفردريك بألمانيا ، ذهب إلى إيطاليا فى العام التالى (عام ١١٥٤م) حيث توج امبراطورا بيد البابا أنسطاسيوس الرابع (١١٥٣ — ١١٥٤م) بروما . إلا أن الخلاف مالبث أن دب بين البابوية من جهة والامبراطور فردريك الأول من جهة أخرى(١) .

واستمر الصراع بين البابوية والامبراطور فردريك الاول قائماً حتى زمن

= نورا وعدلا بعد أن إمتلأت جورا ظلماً ، وهى فكرة المهدى المنتظر .

(١) Barraclough op. cit 167,
The Late Count UGo Balzani op. cit, pp. 413—453,
Bryce The Holy Roman Empire, p 175

البابا أوربان الثالث (١١٨٥ ـ ١١٨٧م) ، الذى أخذ فى الاستعداد لاصدار قرار الحرمان ضد الامبراطور فردريك بربروسا ، فى الوقت الذى وصلت فيه الأخبار من الشرق تحمل أنباء سقوط بيت المقدس فى يد صلاح الدين الأيوبى، وما حل بصليبيى الشام من دمار وخراب ، فلم يستطع أوربان الثالث العجوز تحمل هذه الصدمة القاسية ، فتوفى حزناً فى ٢٠ أكتوبر عام ١١٨٧م[١] .

دعوة البابوية للحملة الصليبية الثالثة :

وكان على البرتو دى مورا Alberto de Mora كاردينال كنيسة لورنس Lourence بلكينا Lucina والذى أختير بابا خلفا لاوربان الثالث واتخذ اسم جريجورى الثامن عام ١١٨٧م[٢] ، إزاء هذا الموقف العصيب ، أن يعيد السلام إلى أوربا ، ويوجه الجيوش إلى الشرق من أجل استعادة بيت المقدس ، فسارع بعقد إتفاقية سلام مع الامبراطور فردريك بربروسا ، لينهى الصراع الدائر بين البابوية والامبراطورية ، كما أرسل عدة رسائل إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى نبذ الحروب الداخلية والإستعداد من أجل المشاركة فى حملة صليبية لاستعادة بيت المقدس من يد المسلمين .

غير أن الاقدار لم تمهل جريجورى الثامن ليرى نتائج جهوده السابقة ، فقد توفى بعد شهرين من تاريخ توليته كرسى البابوية (أكتوبر — ديسمبر ١١٨٧م) وخلفه فى كرسى البابوية أسقف بالسترينا Palesterina باولو سكولارى Paolo Scolari ، الذى اتخذ اسم كليمنت الثالث (١١٨٧ — ١١٩١م)[٣] .

وكان على البابا الجديد الإستمرار فى تحقيق السلام بغرب أوربا ، واستكمال ما بدأه سلفه جريجورى الثامن فى الاعداد لحملة صليبية . وبالفعل بدأ كليمنت

---

(١) Tout p 270

(٢) Hayward, p. 189

(٣) Tout · op. cit, p. 271.

الثالث دعوة كافة الأمراء المسيحيين الغربيين إلى الانضمام والوحدة من أجل إنقاذ بيت المقدس ، ووضع أساس الوفاق بين البابوية والامبراطورية[1] . وأصبحت قوة الامبراطورية بمقتضى هذا الاتفاق راسخة الأقدام فى إيطاليا ، كما عاد البابوات إلى روما بعد أن كانوا يعيشون منذ وفاة البابا اسكندر الثالث عام ١١٨١م فى شمال إيطاليا[2] .

وبدا وكأن الامور قد استقرت للامبراطور فردريك الاول بـكل من ألمانيا وإيطاليا . ولا يخفى علينا أن البابوية كانت فى حاجة إلى قوة الامبراطور فردريك الأول ، وما يتمتع به من شهرة وشجاعة بالإضافة إلى شخصيته الصلبة القوية ، وذلك من أجل المشاركة فى الحرب الصليبية المقبلة .

---

(١) Hayward .op.cit,p160

(٢) Tout.op.cit,p 271.

مشاركة الامبراطور فردريك الأول فى الحملة الصليبية الثالثة :

ومن ناحية أخرى لم يكن فردريك الأول بربروسا هو الآخر أقل حماساً للمشاركة فى الحملة الصليبية المنشودة ، فكما سبق أن أشرنا ، أحسن فردريك استقبال جوسياس رئيس أساقفة صور ، ووعده بتلبية رغبته والقيام بحملة صليبية لاسترداد بيت المقدس ، وسار معه إلى ملكى انجلترا وفرنسا من أجل عقد الصلح بينهما ، ليشاركا سوياً فى الحملة الصليبية القادمة(١) .

ويبدو لنا أن هناك عدة عوامل شجعت فردريك بربروسا وألحت عليه المشاركة فى الحملة الصليبية المنشودة (الحملة الثالثة) ، وأول هذه العوامل ، إحساسه بضرورة نجدة قريبه كونراد مونتوفرات الذى تولى زعامة الصليبيين بمدينة صور كما سبق أن أشرنا . وثانيا : كان لزواج ابنه هنرى السادس من الأميرة كونستانس ابنة وليم الثانى ملك صقلية والوريثة الشرعية لمملكة صقلية(٢) وما حدث من رباط جديد بنورمان الجنوب ، وما للنورمان من يد كبيرة فى الحروب الصليبية ، أدى إلى تهيئة الجو له للمشاركة فى الحروب الصليبية . ثالثا : ما لحق بفردريك الأول وبعمه كونراد الثالث ومن معهما من ملوك

---

(١) Hayward. op. cit, 1190

رنسيمان : المرجع السابق ج ٣ ص ٢٣ .

(٢) Paintar . A Hist of tha middle ages, pp. 280—281

وأمراء الغرب الأوربي من فشل أثناء الحملة الصليبية الثانية (عام ١١٤٧ / ١١٤٨م)[١]، دفعه إلى الاشتراك في الحملة الصليبية الثالثة عسى أن يحقق انصراً يمحو به ذلك الفشل السابق .

والمعروف أن فردريك بربروسا صحب عمه كونراد الثالث (١١٣٨ — ١١٥٢م) ملك ألمانيا في الحملة الصليبية الثانية الفاشلة[٢] . التي خرجت من غرب أوربا عام ١١٤٧م ، نتيجة استغاثة صليبي الشام عقب سقوط امارة الرها الصليبية في يد عماد الدين زنكي عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤م . وكان على رأسها كل من لويس السابع ملك فرنسا ، وكونراد الثالث ملك ألمانيا الذي اصطحب معه ابن أخيه فردريك حاكم سوابيا — الامبراطور فردريك الأول بربروسا فيما بعد — وكان فردريك السوابي آنذاك شاباً قوى البنية ، تولى قيادة فريق النبلاء في تلك الحملة ، ولم تحقق هذه الحملة أي هدف خرجت من أجله ، ففي حين أنها خرجت أساساً لتحطيم قوة الزنكيين ومقرهم مدينة حلب حتى ذلك الوقت ، إذ بها تنحرف نتيجة تدخل بلدوين الثالث ملك بيت المقدس وتوجه نشاطها ضد مدينة دمشق ، التي كانت حتى ذلك الوقت الحليف الوحيد للصليبيين بالشام[٣] .

---

(١) عن الحملة الصليبية الثانية أنظر :

William of Tyre : vol 2, pp 174—196,
Stevenson : The Crusaders in The East, p. 158,
Archer : p 211.

(٢) Finlay . Hist of The Creek, vol 3, p 233

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٩٨

وإنتهى أمر هذه الحملة بالفشل ، نتيجة تجمع عدة عوامل من أهمها : قيام الخلافات بين الصليبيين أنفسهم ، بالإضافة إلى سوء إختيار المكان الذى أتخذته هذه الحملة ، إلى جانب دور النجدات الاسلامية التى وصلت إلى ساحة المعارك من أجل الدفاع عن مدينة دمشق(١).

ولم يلبث كونراد الثالث أن عزم على الرحيل إلى بلاده متخذا الطريق البرى ماراً بالقسطنطينية ، حيث عقد معاهدة صداقة مع الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين (١١٤٣ — ١١٨٠ م) ، وأقام بالقسطنطينية بعض الوقت ينعم بملذاتها مما أثار حنق ابن أخيه الشاب فردريك السوابى الذى كان يكن الحقد والكراهية لبيزنطه ، وحمل الامبراطور البيزنطى مسئولية فقدان الجزء الأكبر من الجيش الالمانى(٢).

وعلى الرغم من الفشل الذى لحق بالحملة الصليبية الثانية هذه، إلا أنها أكسبت فردريك السوابى ، أو الامبراطور الاول فيما بعد، خبرة فى الطريق إلى الشرق من جهة ، وفى طبيعة القتال فى الشرق من جهة ثانية . لذلك لم يحاول

= ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص ٥٠٨ — ٥٢٨ ،
أبو شامه : الروضتين جـ١ ص٥١ — ٥٢ ،
ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص٢٩١ ،
William of Tyre. vol 2, pp. 167—172
(١) حامد زيان : حلب فى العصر الزنكى ، ص٥٧ — ٥٩٠ .
(٢) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبيه ، جـ٢ ص ٤٥٧ — ٤٥٧ ،
Grousset . Histoire des Croisades. Tr, p.296.

فردريك بربروسا الاستعجال فى الخروج من بلاده والاشتراك فى الحملة الصليبية الثالثة دون اتخاذ ترتيب دقيق منظم لحملته يأمن به جانب الفشل الذى لحق بحملة عمه كونراد الثالث .

وبدأ فردريك الأول فى الإعداد لحملته الصليبية الضخمة ، فأخذ فى جمع الأموال اللازمة والرجال والسلاح والعتاد[1] ، ولم يضم إلى جيشه إلا من كان فى إستطاعته الانفاق على نفسه طيلة فترة الحملة [2]. كما عهد بالوصاية على عرش ألمانيا إلى إبنه هنرى السادس ، كما أنه آمن من جانب منافسه القوى فى ألمانيا هنرى الأسد ، حيث تم نفيه إلى بلاط هنرى السادس ملك انجلترا[3].

وعزم فردريك الأول على أن يسلك الطريق البرى بدلا من الطريق البحرى الذى اعتزم اتخاذه ملك انجلترا وملك فرنسا[4].

وزيادة فى الحيطة وتأمين خط سير حملته ، أرسل فردريك الاول إلى حكام البلاد التى سيمر بها جيشه ، يخبرهم بذلك حتى يتخذوا من التدابير ما يكفل تأمين جيشه وإمداده بالمؤن والمعدات اللازمة ، فأرسل إلى ملك بلاد المجر وإلى الامبراطور البيزنطى وإلى سلطان سلاجقة الروم . وتلقى فردريك الأول رداً طيباً من كل من ملك المجر وسلطان سلاجقة الروم[1] بينما أرسل الامبراطور

---

(1) Tout . p. 299
Finlay . vol 3. p 233.

(2) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ٢ جـ١ ص٣٧٥ .

(3) Thompson . p. 204,
Ostrogorsky. Hist of the Byzantine State, p.390

(4) Ostrogorsky. op. cit, p. 360, =

البيزنطي إسحق الثاني (١١٨٥ — ١١٩٥م) مبعوثين من قبله إلى ألمانيا في خريف عام ١١٨٨ م كان على رأسهم دوقاس Dukas، المشرف العام على البريد بالقسطنطينية ، وذلك لإجراء المشاورات اللازمة ووضع صيغة معاهدة تنظم خط سير جيوش فردريك الأول داخل أراضي الامبراطورية البيزنطية ، وما يلزم ذلك من توفير المؤن للجند والعلف للجياد[1] . وبالفعل تمت هذه المشاورات في مدينة نورمبرج Nuremberg وتم تنظيم مسألة عبور الجيش الألماني داخل أراضي الدولة البيزنطية ، ووافق مبعوث الإمبراطور البيزنطي على تأمين الجيش الألماني ، وإمداده بالمؤن والعلف اللازم[2].

= رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ٢ جـ ٣ ص ٢٣ — ٢٤ .

(١) Finlay . vol3, 234.

خروج فردريك بربروسا على رأس جيشه وزحفه إلى الشرق :

وفى ربيع عام ١١٨٩ م بدأت الجيوش الالمانية تتجمع عند راتسبون Ratisbon ، ولم يلبث أن أصبح الجيش الالمانى فى كامل استعداده للمسير إلى الشرق ، وبذلك يكون الجيش الالمانى هو أول جيوش الحملة الصليبية الثالثة زحفاً إلى الشرق المشاركة فى استعادة بيت المقدس من يد صلاح الدين[1] .

وإذا كانت الروايات قد اختلفت فى تقدير عدد الجيش الالمانى ، فمنهم من قال إنه الثمانمائة الف مقاتل[2] ، ومنهم من قال مائتى الف[3] ، ومنهم من قدرة بستمائة الف فقط[4] . فإن الشيء الثابت هو أن هذا الجيش تمتع بنظام

---

(١) مدينة راتسبون احدى المراكز الرئيسية لالمانيا فى العصور الوسطى . وكانت من أهم مراكز الحكم الامبراطورى . وهى تقع بالقرب من الحدود الشرقية لالمانيا قريبة من بلاد المجر .

(٢) Tout . op . cit, P. 299

Thompsou . oP cit, P. 204 .

(٣) عماد الدين الأصفهانى : كتاب البرق الشامى (الروضتين ج٢ ص١٠٠) .

(٤) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ١١٥

ابن ايبك الدوادارى : الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب ص ١٥٠ .

عسكرى دقيق[1] . وقد جاء فى الرسالة التى أرسلها ليو الثانى أمير أرمينية[2] الصغرى إلى السلطان صلاح الدين الأيوبى مايؤكد ذلك ، حيث ذكر أن جنود فردريك « على قصد عظيم ، وجد فى أمرهم ، وسياسة هائلة ، حتى أن من جنى منهم جناية ليس له جزاء إلا أن يذبح مثل الشاة ، ولقد بلغنا عن بعض أكابرهم أنه جنى على غلام له وجاوز الحد فى ضربه ، فاجتمعت القسوس للحكم عليه فاقتضى الحال والحكم العام ذبحه ، وشفع إلى الملك منهم خلق عظيم فلم يلتفت إلى ذلك وذبحه . وقد حرموا الملاذ على أنفسهم حتى أن من بلغهم عنه بلوغ لذة هجروه وعذروه »[3] . ومما زاد من قوة هذا الجيش ما تمتع به من سرية تامة لمختلف الشئون العسكرية، بالإضافة إلى مجموعة القادة الماهرين الذين انضموا إلى صفوفه[4] .

وبدأ فردريك الاول وبصحبته ابنه فيليب حاكم سوابيا ، السير على رأس الحملة الالمانية ، فعبرا بلاد المجر ، حيث رحب بهما بيلا الثالث Bela III صاحب هنغاريا ، ترحيبا كبيرا ، والمعروف انه كان بين فردريك الاول وبين بيلا الثالث صداقة قديمة ، ساعدت كثيرا على سهولة عبور الجيش الالمانى

---

(١) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ق ١ ص ٤٠٣ .

(٢) Finlay . op. cit, Vol 3, 233

(٣) أبو شامة : الروضتين ، جـ٢ ص ١٥٥ .

(٤) Finlay . Vol 3—233—234

الضخم أراضى المجر دون مصادفة أية متاعب ، وإنما قدم بيلا الثالث كل المساعدات المطلوبة سواء كانت مؤنة أو عتاد[1] .

وبدأ للجنود الألمان أن رحلتهم هذه تبدو وكأنها خالية من المتاعب . غير أن هذه البداية السهلة مالبثت أن تبدلت بمصاعب جمة عندما اقتربت الجيوش الألمانية من حدود الامبراطورية البيزنطية .

(1) Tout · P. 266

فردريك الأول والدولة البيزنطية :

وما كادت جيوش فردريك الأول تصل إلى حدود الامبراطورية البيزنطية حتى بدأ موقف الامبراطور إسحق انجيليوس الثانى (١١٧٥ — ١١٩٥ م) يتغير ، كما سبق أن ذكرنا فقد تم عقد معاهدة بين فردريك بربروسا وإسحق الثانى فى مدينة نورمبرج فى خريف عام ١١٨٨ م لتنظيم العلاقة بين الجيش الألمانى الذى سيمر بأراضى الامبراطورية البيزنطية وبين الامبراطور البيزنطى وتعهد إسحق الثانى بمقتضى هذه الاتفاقية أن يقدم المؤن والعلوفات اللازمة للجيش الألمانى .

غير أن الامبراطور إسحق الثانى بدأ يرتاب فى نوايا الجيش الألمانى وفردريك بربروسا جميعا ، لذلك تغير موقفه . ويصف المؤرخ فنلاى Finlay الامبراطور اسحق الثانى بأن قلبه كان يقطر حقدا على أولئك الفرنج Franks فنكص على عقبيه ، وأخذ يثير مختلف العراقيل فى طريق الجيش الألمانى ، ومنع امدادهم بالمؤن . ويروى المؤرخ اليونانى المعاصر نيقتاس خونياتس Nicetas choinates الذى كان عندئذ حاكما لمدينة فيليبوبولس Phlippopolis أن السلطات البيزنطية كانت تمر فى هذه المرحلة بموقف حرج للغاية ، واضطربت الأمور بها ، وتناقضت قراراتها وتعليماتها وموقفها من الجيش الألمانى . ففى بعض الأحيان كانت التعليمات ترد لنيكتاس بضرورة إعادة بناء الاستحكامات

وحصون مدنية فيليبوبولس ، وهى المدينة الواقعة على خط سير حملة فردريك بربروسا ، وذلك إستعدادا لمواجهة الجيش الألمانى ، وفى أحيان أخرى كانت الاوامر تنص على ضرورة إزالة كل أدوات الدفاع والعراقيل من طريق الجيش الألمانى[1] .

والواقع أن الكراهية كانت متبادلة بين الجانبين الألمانى والبيزنطى ، فالمعروف أن الامبراطور فردريك الاول كان يكن الحقد والكراهية لأباطرة القسطنطينية وظهر هذا الحقد واضحا منذ أيام الحملة الصليبية الثانية ، حينما ضاق ذرعا لمقام عمه كونراد الثالث بالقسطنطينية وعقد معاهدة صداقة مع الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين . ويتضح أيضا هذا الحقد والكراهية عندما عقد الامبراطور فرودريك بربروسا معاهدة صداقة مع سلطان سلاجقة الروم عز الدين قليج أرسلان الثانى (٥٥١ — ٥٨٨ هـ/١١٥٦ — ١١٩٢ م) عام ٥٦٣هـ/١١٦٧م واتفق معه ضد الامبراطور البيزنطى[2] . والمعروف أن الامبراطور البيزنطى كان يكره سلطان سلاجقة الروم كرها زائدا باعتباره العدو الاول للامبراطورية البيزنطية ، وهو الذى هدد القسطنطينية تهديدا مباشرا .

---

(١) Finlay . vol 3,234.

ويؤيد هذا الرأى المؤرخ ستفنسون

Stevenson : P. 264.

(٢) Ostrogorsxy, P. 342 .

وزاد العلاقات العدائية بين فردريك الأول بربروسا من جهة وبين الامبراطورية البيزنطية من جهة أخرى، تلك الزيجة التي تمت بين الامبراطور الالماني والنورمان، وذلك أنه تم الاتفاق في عام ١١٨٤ م (٥٨٠ هـ) بين كل من الامبراطور فردريك بربروسا وبين وليم الثاني النورماني ملك صقلية (١١٦٦ — ١١٨٩ م) على زواج ابن الأول هنرى السادس وخليفته في حكم الامبراطورية الرومانية المقدسة من الأميرة كونستانس ابنة وليم الثاني والوريثة الشرعية لمملكة صقلية(١). وما تبع هذه الزيجة من اتفاق بين امبراطور ألمانيا من جهة وبين النورمان أعداء الامبراطورية البيزنطية التقليديين منذ زمن بعيد خاصة وأن وليم الثاني ملك صقلية وجه الى القسطنطينية حملة نورمانية عام ١١٨٥ م، بقصد الاستيلاء عليها من يد اسحق الثاني (٢)، مما زاد من سخط وكراهية اسحق الثاني للنورمان ومن يتحالف معهم.

وعلى هذا النحو لم يكن غريبا أن يرتاب اسحق الثاني في نوايا الامبراطور فردريك بربروسا حليف وليم الثاني، ويخشى من جيوشه ذات العدد الضخم والنظام الدقيق (٣). لذلك بدأ في وضع العراقيل في طريق الجيش الالماني،

---

(١) Painter. A hist of the middle ages, p281,
ويشير فرناند هيوارد Firnand Hayward الى أن هذا الزواج لم يتم الا في بداية عام ١١٨٦ م في مدينة ميلان
(A hist of the popes,p 187)

(٢) ابن جبير : الرحلة ص ٩٦ — ٩٨؛
Diehl : Hist of tha *Bayzantine* Empire, p. 134.
Tout . 9299

(٣) Tout, p. 299.

وتنصل من إتفاقه القديم فى نورمبرج عام ١١٨٨م ، وبدأت سياسته وموقفه من حملة فردريك بربروسا تتغير[1] .

والواقع أن عصر الامبراطور البيزنطى إسحق الثانى (١١٨٥—١١٩٥م) يعتبر أسوأ العصور التاريخية التى شهدها تاريخ الامبراطورية البيزنطية على الإطلاق ، فقد أهمل شئون البلاد الداخلية والاهتمام بمرافقها الداخلية ، فى حين أهتم ببناء القصور والكنائس ، وجمع الصور والتماثيل والأيقونات ، وأنفق على ذلك أموالا طائلة . وفشلت سياسته الخارجية فشلاذريعاً ، فثار عليه البلغار وهاجموا القسطنطينية عقب فرض ضرائب جديدة عليهم ، بعد أن عاشوا قرنين من الزمان فى سلام مع الامبراطورية البيزنطية[1] . ولعدم قدرة إسحق الثانى العسكرية على الوقوف فى وجه سلاجقة الروم ، اشترى مسالمتهم بعقد إتفاقية معهم تعهد بمقتضاها بدفع مبلغا من المال سنويا لسلطان سلاجقة الروم[2] .

* * *

وجريا وراء تطبيق سياسة وضع العراقيل فى طريق الحملة الألمانية (حملة الامبراطورفردريك بربروسا) ، صدرت الأوامرالامبراطورية، بقطع الأشجار الضخمة ووضعها فى الممرات والطرق والمسالك لسدها وتعطيل تحركات الجيش

(١) Finlay, vol3, p 234,
Ostrogorsky, p 360
(٢) Tout . op. cit p 342

الألماني وتقدمه في أراضي الامبراطورية البيزنطية، كما وضع الخطط لإختطاف كل من يتخلف أو يخرج من صفوف الجيش الألماني، وبذلت المحاولات لإثارة الاضطراب في صفوف الجيش الألماني[1]. وفي نفس الوقت منع الامبراطور البيزنطي عن الجيش الألماني تزويده بالمؤن والعلوفات اللازمة والتي كانت ضرورية بالنسبة للجيش الألماني الضخم البالغ عدده مائة ألف مقاتل[2].

ولم يفت هذا في عضد الامبراطور فردريك بربروسا قائد الحملة الألمانية، أو ينقص من حماسته وحماس جنوده، فتابع زحفه داخل أراضي الامبراطورية البيزنطية حتى وصل إلى مدينة فيليبوبولس Philipopolis، واستولى عليها دون مقاومة. ومن الطريف أن الذي ساعد الامبراطور فردريك بربروسا في الاستيلاء على فيليبوبولس، هو العنصر الأرمني، المؤسسين الأوائل لهذه المدينة، الناقمين على الامبراطورية البيزنطية وسياستها العدائية للعنصر الأرمني نتيجة الخلاف المذهبي، وقد اعتبر الأباطرة البيزنطيين الأرمن هراطقة. لذلك رحب أرمن فيليبوبولس بفردريك بربروسا ترحيبا كبيرا، وأمدوه بكل ما إحتاجه جيشه الضخم من مؤن وعتاد، كما دلوهم على مختلف الطرق والمسالك التي يمكن اتخاذها

---

(١) Finlay op. cit, vol 3 p 234.

(٢) Tout op. cit, p 242

(٣) عماد الدين الاصفهاني : البرق الشامي (أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ١٥١)،

Austin Lane poole : Fredrick Barbarossa p 410 - 412

للوصول إلى القسطنطينية ذاتها ، وفي نفس الوقت نقل أولئك الأرمن أخبار وأسرار تحركات الفرق البيزنطية التي بدأت في الوصول بقصد محاربة الجيش الألماني إلى الامبراطور فردريك بربروسا .

وساعد موقف الأرمن الموالين لفردريك بربروسا ، بالاضافة إلى دقة تنظيم الجيش الألماني وقوته ، وبسالة فردريك بربروسا وشجاعته ومهارته وحسن تصرفه ، على هزيمة مجموعات الجيش البيزنطي التي هاجمت الجيش الألماني عند فيليبوبولس ، ومن الجدير بالذكر أن الامبراطور فردريك بربروسا نهى جنده عن الإعتداء على أهالي الامبراطورية البيزنطية ونهبهم وسلبهم ، في حين ذاق هؤلاء الأهالي أهوال النهب والنهب من فلول الجيش البيزنطي الهارب ، مما أدى إلى إحترام أهالي الامبراطورية البيزنطية لفردريك بربروسا والجيش الألماني(١).

وواصل فردريك بربروسا سيره بعد أن تزود بالعتاد والمؤن من أرمن فيليبوبولس ، واتجه قاصداً مدينة أدريانوبل Adrianople (فبراير عام ١١٩٠م) ليستريح بها فصل الشتاء(٢) ويستعد بها لمهاجمة القسطنطينية . وخرجت بعض فرق الجيش الألماني لتحتل كل من مدينة ديدامو تاشون Didymotachon ومدينة أركاديابولس Arcadiapolis القريبة من القسطنطينية نفسها .

---

(١) Finlay vol 3, p 234

Tout p. 299

كما أن فردريك بربروسا إتخذ من الترتيبات ما يضمن له النجاح فى كل تحركاته، فعقد إتفاقا مع أساطيل كل من الجنويين والبيازنه والفينيسيين للمعاونة إما فى مهاجمة القسطنطينية أو فى نقل الجيش الالمانى إلى الشاطىء الاسيوى إذا لزم الامر (١) وفى نفس الوقت أرسل فردريك بربروسا إلى إبنه هنرى السادس الذى خلفه فى حكم ألمانيا، يطلب منه تجهيز جيش وأسطول قويين لتأديب الإمبراطور البيزنطى، بعد إستئذان البابوية فى ذلك(٢).

وقد أصيب إسحق الثانى عندما علم بكل هذه التطورات بخيبة أمل كبيرة، إذ تمنى عرقلة زحف الجيش الالمانى وكان واثقا من نجاح خططه معتمداً على كثرة عدد جيشه، لذلك عندما أيقن من فشل كل خططه وأهدافه، بدأ يعيد النظر فى سياسته مع فردريك بربروسا خاصة وأن فردريك بربروسا أرسل إلى إبنه هنرى السادس يطلب منه تجهيز جيش وأسطول لتأديب اسحق الثانى. وهنرى السادس هذا هو وريث مملكة النورمان بصقلية، والنورمان لهم سوابق خطيرة فى مهاجمة القسطنطينية. لكل هذه الاسباب بدأ إسحق الثانى يطأطىء الرأس ويرسل إلى فردريك بربروسا فى طلب الصلح.

ويشير بعض الباحثين إلى أن سياسة فردريك بربروسا الماكرة هى التى أجبرت اسحق الثانى على الخضوع وطلب الصلح(٤).

---

(١) Tout : op. cit, p. 299.
(٢) Finlay : op. cit, vol 3,p 234—235.
(٣) Ostrogorsky : op. cit. p. 361.
(٤) Tout : op. cit, p. 342.

والواقع أن فردريك بربروسا نفسه كان تواقا إلى عقد الصلح مع الإمبراطور إسحق الثانى ، حتى يتسنى له الانتقال إلى آسيا الصغرى ويوجه جهوده ضد المسلمين بدلا من ضياعها فى محاربة البيزنطيين .

وبعد إجراء عدة مشاورات بين الجانب الألمانى والجانب البيزنطى ، تم الإتفاق بين الجانبين فى كنيسة سانت صوفيا وبحضور بطريرك القسطنطينية، وتعهد الامبراطور اسحق الثانى بمقتضى هذا الإتفاق بإمداد جيش فردريك بربروسا بكل ما يحتاجه من مؤن وعتاد وعلف للجياد طالما بقى الجيش الألمانى داخل حدود الامبراطورية البيزنطية ، كما تعهد إسحق الثانى بنقل أفراد الجيش الألمانى على سفن بيزنطيه من ميناء غاليبولى Galliopoli إلى شاطىء آسيا الصغرى الغربى(1)

---

(1) Finlay : op. cit, vol. 3, p. 235,
Ostrogorsky : op. cit, p. 361.

من التدابير ما يكفل له الصمود فى وجه فردريك بربروسا . وفى نفس الوقت أخبر صلاح الدين بالمتاعب التى حاقت بفردريك داخل أراضى الامبراطورية البيزنطية ، كما أخبره بأن فردريك على وشك الفشل والعودة إلى ألمانيا . ومما جاء فى رسالة إسحق الثانى إلى صلاح الدين: «وما أظن أنه سمع نسبتك أخبارا ردية ، وأنه قد سار فى بلادى الألمان ، وما هو عجب فإن الأعداء يرجفون بأشياء كذب على قدر أغراضهم ، ولو اشتهى أن تسمع الحق فانهم قد تأذوا وتعبوا أكثر ، وأذوا فلاحى بلادى وقد خسروا كثيرا من المال والدواب والرحل والرجال ، ومات منهم كثير وقتلوا ، والفرا ، وبالشدة قد تخاصروا من أيدى أجناد بلادى ، وقد ضعفوا بحيث أنهم لايصلون إلى بلادك ،وإن وصلوا كانوا ضعافا بعد شدة كثيرة ، ولا يقدرون ينفعون جيشهم ولا يضرون نسبتك ،... ولا تحمل على قلبك من مجىء الأعداء ، الذين قد سمعت بهم ، فان إدبارهم على قدر نيتهم وآرائهم[1]» .

وكما سبق أن أوضحنا أن الامبراطور البيزنطى كان واثقا من نجاحه فى عرقلة سير الحملة الالمانية ، وعدم وصولها سالمة إلى الشرق[2] ولكن خانه الحظ وخاب ظنه وأجبر على توقيع الاتفاقية التى سبق أن أشرنا اليها وبمقتضاها قدم لفردريك كل التسهيلات التى تمكنه من العبور الى الشرق. لذلك سارع بالكتابة

---

(١) ابن شداد : المصدر السابق ص ١٣٢ — ١٣٣ ، أبو شامة : المصدر السابق حـ ٢ ص ١٥٩ — ١٦٠ .

(٢) Finlay : op. cit, vol 3, p. 235

الى السلطان صلاح الدين الأيوبي يعتذر له عن « عبور الملك الألمانى » ويشرح له أنه أجبر على ذلك[1] ؛ وذلك حتى يتسنى لصلاح الدين اتخاذ الترتيبات اللازمة لدحر قوات فردريك بربروسا .

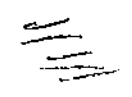
وكذلك جاءت أخبار حملة فردريك بربروسا الى السلطان صلاح الدين من جانب ابنه الملك الظاهر غياث الدين حاكم حلب[2] (٥٨٢ — ٦١٣ هـ) فيشير ابن شداد مؤرخ صلاح الدين الأيوبي الى أنه « لما دخل رمضان فى شهور عام ٥٨٥ هـ (١١٨٩ م) وصل من جانب حلب المحروسة كتب من ولده الملك الظاهر يخبر فيها أنه قد صح أن ملك الألمان خرج الى القسطنطينية فى عدة عظيمة قيل مائتا ألف وقيل مائتا وستون ألف يريد البلاد الاسلامية[3] .

---

(١) أبو شامة . المصدر السابق حـ ٢ ص ١٥٩ — ١٦٠ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان حـ ٨ ق ١ ص ٤٠٤ .

(٢) هو الملك الظاهر أبو منصور غياث الدين أبو الفتح غازى الأول . وهو الابن الرابع لصلاح الدين الأيوبي .
زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة حـ ١ ص ١٥٢ .

(٣) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ١١٥ ، أبو شامة : الروضتين حـ ٢ ص ١٥٠ .



استعداد صلاح الدين الصمود أمام حملة فردريك بربروسا

وقد أثارت حملة فردريك بربروسا الصليبية ، بما وصفت به من ضخامة وحسن سياسة وتنظيم ، مخاوف السلطان صلاح الدين الأيوبي ، فيشير ابن شداد إلى أنه بعد أن علم بها السلطان صلاح الدين «اشتد ذلك على السلطان»[1] ، ويؤكد عماد الدين الاصفهاني وهو معاصر لصلاح الدين وأحد كتاب ديوان انشائه بقوله : «لما بلغت هذه الاخبار ، اضطربت البلاد ، وارتاعت الانجاد والاغوار ، وقالوا : هذا جانب لا يطاق ، وأى جانب قصده منه لا يعاق ، ولا شك أنه يتوسط بلاد الشام ، ويثلم ثغور الاسلام ، ويشغلنا عما نحن فيه من هذا الاهتمام[2]» ، وبدأ الخوف واليأس يدب فى نفوس المسلمين ، لدرجة أن بعض المؤرخين المسلمين أشار إلى أن المسلمين «ايسوا من الشام بالكلية[3]».

غير أن السلطان صلاح الدين الأيوبى لم يكن بالرجل الذى تفت فى عضده مثل تلك الحملة حتى ولو بلغت من الضخامة والتنظيم ما بلغته حملة فردريك بربروسا ، فأرسل أولا يستكشف حقيقة الموقف بالإمبراطورية البيزنطية عن

---

(١) ابن شداد : المصدر السابق ص ١١٥

(٢) عماد الدين الاصفهاني : الفتح القسى ص ٣٩٣ .

(٣) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر حـ ٣ ص ٧٨ .

طريق بعض الرسل الذين أرسلهم إلى الدولة البيزنطية ، وأشار إلى ذلك عماد الدين الأصفهاني بقوله : « وبثثنا بالإرسال إلى بلاد الروم عيونا وجواسيس[1] » .

وفي نفس الوقت شرع صلاح الدين في الكتابة إلى كل الحكام المسلمين في شتى أنحاء البلاد الإسلامية من أجل استنفار هممهم للجهاد ، وكان رسوله في ذلك بهاء الدين بن شداد الذي ذكر في تاريخه ، أن السلطان صلاح الدين « أمرني بالمسير إلى صاحب سنجار ، وصاحب الجزيرة ، وصاحب الموصل ، وصاحب إربل ، واستدعائهم للجهاد بأنفسهم وعساكرهم[2] » . وقد جاء في نص كتاب الاستنفار الذي حمله بهاء الدين بن شداد إلى هؤلاء الحكام : « قد عرف أن العدو الألماني المخذول قد وصل فما لقعوده عن هذا المقام معنى ، وما لمن تأخر عن نصرة الاسلام من ثمرة السعادة مجنى . وهــذا وقت نهوضه بجميع أهل بلاده ، وأوان بذل وسعه وجده واجتهاده . فإنه محضر لا يغيب عنه إلا من ليس له عند الله خلاق ، وموقف يفي بعهد الله فيه من سبق له معه في السعادة ميثاق . وإنها لغنيمة أوفدها الله علينا ، وهدية أهداها الله إلينا ، وفضيلة خصنا الله بها ، وأسعدنا بسببها . بل هي بلية جلا وجه النعمة فيها ، بل قضية وفى الله في النجح بموعود توافيها . بل ملمة اختارنا الله لدفعها ، وطاغية استدعى أولياءه لقمعها ، ونائرة كلفنا الله بإطفاء جمرها وإرداء جمعها » .

« فلينهض نهوض الكريم إلى مساعدة الكرام ، وليخطب اهتمام العظيم

---

(1) أبو شامة : الروضتين حـ ٢ ص ١٥٠

(2) ابن شداد : المصدر السابق ص ١١٥

بملابسة الخطوب العظام ، وليثب وثوب الأسد على الفريسة ، ولينتخ الاسلام إنتخاء ذوى الأنفس الأبية واضمم العلية النفيسة » .

« وليكن أول سابق فى مضمار الجد ، وأسعد طالع فى أفق المجد . فإن الاسلام فى انتظاره ، والمطالع مستشرفة إلى اشراق أنواره . لا زالت الاقدار جارية فى إسعاد الدين والدولة بإقداره[1] » .

* * *

أما فردريك بربروسا فقد تابع سيره فى أراضى الامبراطورية البيزنطية حتى وصل إلى ميناء غاليبولى المطل على بحر مرمره من جهة الجنوب ، وقامت الأساطيل البيزنطية بنقل الجيش الألمانى إلى الشاطىء الأسيوى فى شهر إبريل عام ١١٩٠م[2] . وفقا لشروط الاتفاقية المعقودة بين الامبراطور فردريك بربروسا وبين إسحق الثانى ، وعبر جيش فردريك بحر مرمره وانتقل بأكمله إلى الشاطىء الأسيوى بسلام[3] . ومن ثم بدأ الامبراطور فردريك بربروسا

---

(١) عماد الدين الأصفهانى : الفتح القسى ص ٤٠٠ .

(٢) Tout : op. cit, p 299,
Lana — pool ; Saladin,p . 523.

ويشير فنلاى Finlay إلى أن الجيش الألمانى عبر بحر مرمرة فى ٢٨ مارس عام ١١٩٠م .

Hist of tha Greek, (vol 3, p. 236)

(٣) Finlay . op.cit, vol3, p 236,
ostrogorsky : op.cit, p361,
Stevenson . op cit, p264

زحفه داخل آسيا الصغرى فى الاتجاه الجنوبى ، مخترقا بعض المدن الجنوبية مثل فيلادلفيا Philadilphia ولاودكيا Laodicea ، والمدينة الأخيرة كانت مدينة يونانية مستقلة عن حكم الأتراك ، سكنها شعب يونانى ، وأشعل نار الثورة ضد الحكم السلجوقى مراراً . لذلك رحب أهالى لاودكيا بالإمبراطور فردريك بربروسا وبالجيش الالمانى ترحيبا كبيرا ، وقدموا له كل ما احتاجه من المؤن والعتاد ، كما استعان قادة الحملة الالمانية ببعض الادلاء اليونان فى معرفة أفضل الطرق والمسالك بآسيا الصغرى(1) .

---

(1) Finlay : op. cit, vol3, p236.

فردريك بربروسا وسلاجقة الروم :

ثم إتجه الامبراطور فردريك بربروسا صوب مملكة سلاجقة الروم وعاصمتها قونيه . وكما سبق أن أشرنا أن الامبراطور فردريك بربروسا أرسل إلى سلطان سلاجقة الروم عز الدين قليج أرسلان (الثانى) بن مسعود (٥٥١—٥٨٨ ﻫ) ، يطلب منه الترخيص له بعبور أراضى مملكته ، ووافق قليج أرسلان على هذا الطلب وفى نفس الوقت تعهد قليج بإمداد الجيش الالمانى بما يحتاجه من مؤن وعتاد (١).

والمعروف أنه كان يوجد نوع من الاتفاق فى الرأى بين قليج إرسلان وبين فردريك بربروسا ، وتشهد المراجع إلى إتفاق وقع بين فردريك بربروسا وبين قليج أرسلان عام ٥٦٣ ﻫ / ١١٦٧ م ، وكان هذا الاتفاق موجها أساساً ضد الإمبراطور البيزنطى عدو كل من سلطان سلاجقة الروم والامبراطور فردريك بربروسا . ومن ناحية أخرى كان لتوسعات صلاح الدين الايوبى أثر كبير فى إستمرار الوفاق بين سلاجقه الروم وفردريك بربروسا، إذ خشى قليج أرسلان على ممتلكاته من صلاح الدين (٢) ، ودفعه خوفه من صلاح الدين وموقفه العدائى من الامبراطور البيزنطى إلى معاضدة فردريك بربروسا ومحالفته (٣) ،

---

(١) Finlay . op cit, vol p. 236

(٢) Stevenson. op. cit, p. 264

(٣) Ostrogorsky op. cit, p. 342

لذلك لم يكن غريبا أن يسارع قليج أرسلان بالموافقة والترحيب بعبور جيش فردريك بلاده من أجل محاربة صلاح الدين الأيوبي .

وبناء على هذا الترحيب إخترق الجيش الألماني أراضي مملكة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى وهو مطمئن البال مستريح الخاطر . غير أنه حدث بمملكة سلاجقة الروم ما عكر صفو فردريك بربروسا ، ذلك أن الأمير قطب الدين ملكشاه بن قليج أرسلان تزعم حركة مناهضة الجيش الألماني وفردريك بربروسا ومنع عن الجيش الألماني الإمدادات والمؤن والعلوفات ، وفي نفس الوقت بدأت الفرق التركمانية تهاجم الجيش الألماني ، مما أفزع فردريك بربروسا لهلاك جزء كبير من جيشه وإختطاف جزء آخر، ومما يذكر أن الوقت آنذاك كان شتاء شديد البرودة ، مما أدى إلى هلاك جزء ثالث من جيش فردريك بسبب البرد والجوع(١). وأشار إلى ذلك عماد الدين الأصفهاني بقوله إنه بوصول الجيش الألماني « إلى حدود بلاد الإسلام ، وسلكوا الأودية والآجام والوهاد والآكام ، تسلمهم تركمان الأوج ، وتراكم الثلوج، وشتاء الكلاب ..»(٢)

ويدعونا موقف قليج أرسلان وإبنه قطب الدين المتغير تجاه الحملة الألمانية ، إلى النظر بدقة لاستخلاص حقيقة موقف سلاجقة الروم من حملة فردريك بربروسا على الشرق :

---

(١) إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر حـ ٥ ص٣٢١ .
(٢) أبو شامة : الروضتين حـ٢ ص١٥١ .

أولا : من الثابت تاريخياوجود إتفاق وتفاهم موجه ضد كل من الامبراطور البيزنطى وصلاح الدين الأيوبى ، وقد ساعد هذا الاتفاق على ترحيب قليج أرسلان بعبور جيش فردريك لأراضى سلاجقة الروم (١).

ثانياً : بوصول الجيش الألمانى إلى آسيا الصغرى، اضطرب العالم الاسلامى، لتخوفه من بطش الجيش الإلمانى البالغ درجة كبيرة من التنظيم والعدد. وخشى قليج أرسلان من إثارة الرأى العام الاسلامى ضده إذا حالف فردريك بربروسا واستمر معاضدا له ضد صلاح الدين الأيوبى ، لذلك كان « قليج أرسلان يظهر شقاقه — أى الامبراطور فردريك — وهو فى الباطن قد أضمر وفاقه »(٢). وسارع بإرسال رسالة إلى صلاح الدين الأيوبى يخبره فيها بوصول حملة فردريك بربروسا إلى آسيا الصغرى ، ووعده بصدهم وعدم تمكينهم من عبور أراضيه .(٣) وذلك حتى يتبرأ من تهمة معاضدته لفردريك . ومن هنا تبدو براعة قليج أرسلان وحنكته السياسية ، مما دعى أحد المؤرخين إلى أن يصفه بأنه كان « ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة »(٤).

ثالثاً : تشير المصادر التاريخية إلى أن قطب الدين بن قليج أرسلان خرج

---

(١) Ostrogorsky . op. cit, p. 342,
Stevenson : op. cit, p 264

(٢) إبن شداد : سيرة صلاح الدين ص ١٢٣ — ١٢٤ .

(٣) إبن خلدون : العبر حـ ٥ ص ٣٢٢ .

(٤) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٣ .

على أبيه وحجر عليه وانتزع منه السلطان(١) ، وأخذته حمية الاسلام ، ووقف موقفا معاديا من الحملة الالمانية وسياسة أبيه المرحبة بالحملة الالمانية (٢) . وقد شجع موقف قطب الدين هذا الاركان الذين دأبوا منذ أن وطأت أقدام الحملة الالمانية أرض آسيا الصغرى فى مهاجمة واختطاف عدد كبير من أفراد الجيش الالمانى خاصة من يتخلف منهم عن السير فى ركاب الجيش(٣).

رابعاً: يشير بعض الباحثين إلى أن قليج أرسلان تخوف من نوايا الامبراطور فردريك بربروسا وجيشه الضخم ، فاتخذ من الحيطة والحذر ما أدى إلى تحرج موقف فردريك بربروسا(٤) .

خامساً : يعزو البعض الآخر من الباحثين موقف قليج أرسلان المتغير تجاه فردريك بربروسا إلى الحقد والكراهية التى ملأت قلبه ، مثله فى ذلك مثل الامبراطور البيزنطى(٥).

وإزاء هذا الموقف الحرج الذى وقع فيه فردريك بربروسا ، إضطر إلى إتخاذ بعض التدابير لإنقاذ موقفه ، متبعا فى ذلك سياسة اللين والحكمة مع إظهار مالديه من قوة عسكرية يلوح بإستخدامها إذا لزم الأمر . وتفصيل ذلك

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة .
(٢) الاصفهانى : الفتح القسى ص ٣٩٠ .
(٣) المصدر السابق ص ٣٨٩ .
(٤) Tout. op. cit,p.299
(٥) Finlay, op cit, vol3. p, 236

أنه راسل قليج أرسلان وأخذ يبث فى قلبه الطمأنينة والسكينة وكتب إليه يقول « لسنا نريد بلادك.. إنا لم نصل لأخذ بلادك ، وإنما سرنا لثأر بيت المقدس»(1) وفى نفس الوقت تقدم بجيشه وأنزل بجيش سلاجقة الروم هزيمة ساحقة عند فيلوميلوم Philomelium (2) ، ثم زحف مباشرة إلى عاصمة سلاجقة الروم « قونية » ، وأشعل بأسواقها النيران ، واستولى عليها (3) . ومن الملاحظ أن فردريك بربروسا تعرض لبعض المتاعب بآسيا الصغرى خاصة وأن الشتاء كان شديد البرودة فى ذلك العام مما أدى إلى أن الأيام التى قضاها فى الطريق من الشاطىء الآسيوى الشرقى لآسيا الصغرى ، وحتى إستيلائه على قونيه والبالغة ثلاثة وثلاثين يوما ، كانت من أصعب الأيام التى مر بها الجيش الألمانى فى الحملة الصليبية الثالثة (4) .

وهكذا نجح فردريك بربروسا فى الإستيلاء على قونيه ، وهى المدينة التى

---

(1) أبو شامة : الروضتين جـ٢ ص١٥٦ ،
ابن أيبك الدوادارى : الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب ص ١٠٥
(2) المصدر السابق نفس الصفحة ،
Finlay . op. cit, vol 3, p. 236
(3) أبو شامه : الروضتين جـ٢ ص١٥٦ ،
المقريزى : السلوك جـ١ ق١ ص ١٠٤ .
(4) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص١٢٣ — ١٢٤ ،
أبو شامة : المصدر السابق جـ٢ ص ١٥٥ — ٥٦ ،
Tout , op. cit, p. 299.

فشل فى الاستيلاء عليها أباطرة الامبراطورية البيزنطية العظام أمثال الكسيوس الاول كومنين ، وحنا الثانى ، ومانويل الأول(١)

ويبدو أن الامبراطور فردريك بربروسا لم يشأ أن يزيد من اتساع الشقاق بينه وبين قليج أرسلان ، الذى اعتصم هو وأولاده بقلعة قونيه(٢) ، فمنع رجاله من محاصرة القلعة(٣) ، وأجاب قليج أرسلان إلى ماطلبه من أمان(٤) . وأخذت الرسل تتردد بين كل من قليج أرسلان وفردريك بربروسا فى اقرار السلام بين الجانبين ،وأرسل فردريك بربروسا بعض الهدايا والأموال إلى قليج أرسلان حتى يعيد إليه الهدوء والإطمئنان ، وأخذ فى تذكرته بما تم بينهما سابقاً من إتفاق(٥) ، وأخيراً إتفق الطرفان على إعادة ما كان بينهما من تفاهم ومودة ، وتعهد قليج أرسلان بإمداد الجيش الألمانى بما يحتاجه من مؤن وعتاد طيلة بقائه داخل حدود مملكته ، حتى يتسنى له عبور أراضى دولته بسلام إلى أرمينيه الصغرى(٦) . ويشير بعض المؤرخين إلى أن قليج أرسلان

---

(١) Finlay : op. cit vo p. 236

(٢) الاصفهانى : المصدر السابق ص٣٩٠ .

(٣) Finlay : op. cit, vol,3 p. 236

(٤) ابن شداد : المصدر السابق ص١٢٣ — ١٢٤ ،
أبو شامة : المصدر السابق جـ٢ ص١٥٦ .

(٥) أبو شامة : المصدر السابق جـ٢ ص١٥٦ ،
ابن خلدون : المصدر السابق جـ٥ ص٣٢٢ .

(٦) الاصفهانى : الفتح القسى ص٣٩٠ ،
أبو شامة : الروضتين جـ٢ ص١٥٦ ،

وابنه قطب الدين أنما اضطر إلى عقد هذه الإتفاقية مع فردريك بربروسا، لضعف قواته، «وأنه أحتاج إلى مسالمتهم»[1]

ويبدو أن الامبراطور فردريك بربروسا لم يعد يثق فى مواثيق وعهود قليج أرسلان، لذلك رفض مغادرة قونيه إلا بعد أخذ عدة رهائن قدرها «عشرون مقدما من أكابر أمرائه — أى أمراء قليج أرسلان — ليكونوا معه حتى يصل المأمن»[2]. وفى نفس الوقت يقوم هؤلاء الأمراء بمنع التركمان عن التعدى على الجيش الألمانى[3]. وقد رحب قطب الدين بن قليج أرسلان بهذه الفكرة ترحيبا كبيرا، لرغبته فى التخلص من بعض أمرائه، بأن عهد اليهم بمصاحبة فردريك بربروسا[4].

ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء الرهائن لقوا مصيراً سيئاً بعد أن ابتعدوا عن أراضى دولة سلاجقة الروم، وأصبحوا داخل مملكة أرمينية الصغرى، حيث قبض عليهم الأرمن وأسروهم[5].

---

(١) أبو شامة : المصدر السابق جـ٢ ص ١٥٦ .
(٢) الأصفهانى : المصدر السابق ص ٣٩٠ .
(٣) أبو شامة : المصدر السابق جـ٢ ص١٥٦ .
(٤) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .
(٥) أبو شامة : المصدر السابق جـ٢ ص١٥٧ ،
ابن خلدون : المصدر السابق جـ٥ ص٣٢٢ .
ويشير بعض المؤرخين إلى أن فردريك بربروسا بنى نقضه لليمين التى أقسمها =

ومن الطريف أن السلطان قليج أرسلان وإبنه قطب الدين أرسلا إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي، بعد عبور فردريك بربروسا أراضي دولة سلاجقة الروم متجها إلى أرمينيه الصغرى، رسالة يعتذران له فيها عن تمكينهم فردريك بربروسا من عبور أراضيهم وأنهما أجبرا على ذلك لعجزهما عن صده (1)

= لقليج أرسلان بإعادة الرهائن، بأن التركمان تعرضوا له أثناء الطريق وسرقوا أمواله. لذلك قبض على هؤلاء الامراء ووضعوا فى أسر ليو الثانى الارمنى ولم يطلق أحد منهم الا بفدية عظيمة.

(أنظر الاصفهانى: الفتح القسى ص ٣٩٠، أبو شامة: الروضتين ج٢ ص١٥٦)

(1) سبط بن الجوزى: مرآة الزمان ج ٨، ١ ص ٤٠٣
الاصفهانى: الفتح القسى ص ٣٩٨

فردريك بربروسا بأرمينية الصغرى :

وبعد أن قضى فردريك بربروسا بقونيه خمسة أيام ، غادرها بعد أن تزود منها بالمؤمن والعلوفات اللازمة ، وبصحبته الرهائن من أمراء التركمان ، ومعه الأدلاء[1] ، واتجه صوب اقليم قليقية بأرمينية الصغرى[2].

وما أن اقتربت جيوش فردريك بربروسا من حدود مملكة أرمينية الصغرى ، حتى بادر حاكمها ليو الثانى بالخروج ومقابلة فردريك بربروسا وبكل ترحاب ، وأمده بالمؤن والزاد والعتاد اللازم[3] .

أما ليو الثانى أمير ارمينية هذا ، فتشير المراجع إلى أنه كان يأمل فى أن يتوج ملكا على ارمينية الصغرى حتى لا يبدو فى مكانة أقل من مكانة الامراء الصليبين المقيمين ببلاد الشام من جهة ، ويبعد عنه أطماع الامبراطور البيزنطى من جهة أخرى . وقد علق ليو الثانى أهمية كبيرة على كل من البابا كالستين الثالث (١١٩١ — ١١٩٨ م)والامبراطور فردريك بربروسا ، فى تحقيق هذا الأمل[4].

---

(١) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ١٢٣ — ١٢٤ ،
أبو شامه : الروضتين حـ ٢ ص ١٥٥ — ١٥٦ .

(٢) Finlay, op. cit, vol 3, p 239

(٣) ابن خلدون : العبر حـ ٥ ص ٣٢٢ .

(٤) سعيد عاشور : سلطنة المماليك وأرمينية الصغرى ص ١١٤ .

وقد انتهز الامبراطور فردريك بربروسا هذه الفرصة وأرسل إلى ليو الثانى يخبره بقدومه إلى الشرق على رأس حملة صليبية ، وطلب منه الاستعداد لامداد جيشه بما يحتاجه من مؤمن وعتاد ، فى مقابل منحه ليو الثانى لقب الملكية ،وقد فرح ليو الثانى بهذه الأخبار فرحاً زائداً ، نظراً لقرب تحقيق أمله فى الحصول على التاج من جهة ، وفى أمله فى أن يساعده فردريك بربروسا ضد أعدائه فى الشرق وهم الصليبيون بأنطاكية والبيزنطيون والسلاجقة بآسيا الصغرى(١) .

لذلك عندما اقتربت جيوش فردريك بربروسا من حدود أرمينية الصغرى، بادر ليو الثانى بالخروج لمقابلة فردريك بربروسا بكل ترحاب(٢) ، وقدم إليه الأزواد والمؤن والعتاد ، واتجها سوياً إلى مدينة طرسوس للاستراحة بها بعض الوقت(٣) .

---

(١) ostrogorsky. op. cit, P. 336

(٢) الأصفهانى : الفتح القسى ص ٢٩٠،

Cam. med. Hist. vol 4,p 632.

(٣) أبو شامه : الروضتين حـ ٢ص ١٥٦ ،

المقريزى : السلوك حـ ١ ق ١ ص ١٥٤ ،

ابن خلدون : العبر حـ ٥ ص٣٢٢،

Tout. op. cit, P. 500 .

الموقف بالعالم الاسلامي بعد قدوم فردريك بربروسا إلى الشرق :

وبوصول الامبراطور فردريك إلى بلاد الأرمن بآسيا الصغرى ، أصبح الطريق مفتوحاً أمامه تماما للوصول إلى الأراضى المقدسة . وأيقن المعاصرون سواء كانوا مسيحيين أم مسلمين ، بعد أن نجح فردريك بربروسا فى الوصول بجيشه سليما إلى أرمينيه الصغرى ، على الرغم من العقبات الكثيرة التى تعرض لها فى طريقه الطويل ، أيقنوا من ضرورة تخليص فردريك بربروسا لبيت المقدس من يد صلاح الدين ، وذلك لما يتمتع به فردريك بربروسا من مهاره سياسية وشجاعة عسكرية ، وبفضل ذلك الجيش الضخم المنظم المصاحب له[1] .

وتشير المصادر الإسلامية المعاصرة إلى أنه عندما بلغت هذه الأخبار إلى بلاد المسلمين « اضطربت الديار ، وارتاعت الأنجاد والأغرار »[2] . كما أن السلطان صلاح الدين الأيوبى « لما تحقق من وصول ملك الألمان إلى بلاد ابن لافون — ليو الثانى — وقربه من البلاد الاسلامية ، جمع أمراء دولته وأرباب الآراء وشاورهم فيما يصنع ، فاتفق الرأى على أن العسكر يسير بعضه إلى البلاد المتاخمة لطريق عسكر العدو الواصل وأن يقيم هو على منازلة العدو

(١) Finlay, op. cit : vol 3, P 236

(٢) الأصفهانى : الفتح القسى ص ٣٩٣ .

المقابل بباقى العسكر المنصور »(١) .

كما أخذ السلطان صلاح الدين الايوبى فى إرسال كتب الاستنفار صحبة وزيره بهاء الدين بن شداد إلى مختلف الحكام المسلمين ، من أجل القيام بواجبهم الوطنى إزاء الخطر الالمانى ، والوقوف جميعاً صفاً واحداً(٢) .

وبالفعل استجاب بعض القادة المسلمين لنداء صلاح الدين ، ووصلت قواتهم إلى جبهة القتال ، فكان أول من سار صاحب منبج(٣) ناصر الدين بن تقى الدين ثم عز الدين بن المقدم صاحب كفر طاب(٤) وبارزين وغيرهما ، ثم مجد الدين صاحب شيزر(٥) ، وسار إلى دمشق والده الافضل لمرض عرض له وكذلك بدر الدين شحنة دمشق . ثم سار الملك الظاهر إلى حلب لتأمين الطريق وكشف

---

(١) أبو شامه : الروضتين جـ٢ ص ١٥٧ .

(٢) Lane—Poole, op. cit, P 268.

(٣) يقول عنها ياقوت « هى فى الاقليم الرابع .. مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة .. بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ ، وبينها وبين حلب عدة فراسخ » معجم البلدان جـ٥ ص ٢٠٦ .

(٤) بلدة بين المعره ومدينة حلب (ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٤٧٠) .

(٥) قلعة تشتمل على كوره بالشام قرب المعره (البلدان جـ ٢ ص ٣٨٢) .

أخبار فردريك بربروسا ، وسار من بعده الملك المظفر لتأمين ما يلي حلب من بلاد ، وتدبير أمر الدفاع ضد الجيش الالماني(١) .

وفي نفس الوقت أمر السلطان صلاح الايوبي بهدم أسوار كل من طبرية(٢) ويافا(٣) وأرسوف(٤) وقيسارية(٥) وصيدا(٦) وجبيل(٧) ، لئلا يتخذها

---

(١) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص١٢٤،
الاصفهاني : الفتح القسي ص٣٩٤ ،
أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص١٥٧،
Lane—pool . op. cit P 268 .

(٢) بلدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبريه ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وبينها وبين بيت المقدس مثل ذلك ، وبينها وبين عكا يومان
(ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ١٧)

(٣) مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيساريه وبين عكا .
(ياقوت : البلدان : جـ ٥ ص ٤٢٦) .

(٤) مدينة على ساحل بحر الشام بين قيساريه ويافا (ياقوت : البلدان جـ ١ ص ١٥١) .

(٥) بلدة على ساحل بحر الشام تعد في أعمال فلسطين (ياقوت : البلدان جـ ٤ ص ٤٢١) .

(٦) مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق (ياقوت : البلدان جـ ٣ ص ٤٣٧) .

(٧) بلد مشهور شرقي بيروت ، بينها وبين بيروت ثمانية فراسخ .
(ياقوت . البلدان جـ١ ص ١٠٩) .

الألمان — إذا قدر لهم الاستيلاء على تلك البلدان — حصونا لهم ، ويصعب بعد ذلك اخراجهم منها واستعادتها منهم[1] .

ومن ناحية أخرى أدى وصول جيش فردريك بربروسا إلى الشرق إلى نفخ روح جديدة بالبقية الباقية للصليبين عقب هزيمتهم بحطين ، والذين كانوا بمدينة صور تحت زعامة كونراد مونتوفرات ، وتشجعوا وأخذوا فى الاستعداد لمواجهة صلاح الدين منتهزين فرصة إنشغال صلاح الدين بأمر حملة فردريك بربروسا ، وارسال جزءاً من جيشه إلى الشمال لملاقاة جيش فردريك بربروسا [2] ، هـــذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فقد استطاع جاى لوزجنان ملك بيت بعد أن أطلق سراحه صلاح الدين الأيوبى أن يسترد عكا من يد المسلمين ويتخذها قاعدة للصليبين[3] وبذلك وقع صلاح الدين بين نارين ، نار جيش فردريك بربروسا فى الشمال ونار الصليبين المحليين والقادمين إليهم من الغرب عن طريق البحر المتوسط سواء كانوا فى صور أم عكا[3] .

---

(١) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ١٢٤ ، الأصفهانى . الفتح القسى ص ٣٩٤.

(٢) المقريزى : السلوك ج ١ ق ١ ص ١٠٤

(٣) أبو شامه : الروضتين ج٢ ص ١٤٣ .

(٤) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٥٤ — ٨٥٨

Archer op. cit, P 316—317

ويتضح لنا أحوال العالم الاسلامى فى تلك الفترة وما أصابه من أخطار هددت كيانه من تلك الرسالة التى أرسلها السلطان صلاح الدين الايوبى إلى الخليفة العباسى أبو العباس أحمد الناصر لدين الله (٥٧٥ — ٦٢٢ ﻫ) يشرح له فيها تعرضه لهجوم فردريك بربروسا والجيش الألمانى ، وتعرض سواحل بلاد الشام للاغارة من قبل الصليبين الواصلين من البحر المتوسط والذين أقاموا بعكا ومما جاء بهذه الرسالة : « ومن خبر الكفار أنهم الآن على عكا يمدهم البحر بمراكب أكثر عدة من أمواجه ، ويخرج للمسلمين منهم أمر من أجاجه ، قد تعاضدت ملوك الكفر على أن ينهضوا إليهم من كل فرقة منهم طائفة ، ويقلدوا لهم من كل قرن يعجز بالكره واصفه ، فاذا قتل المسلمون واحدا فى البر بعث البحر عوضه ألفا ، وإذا ذهب بالقتل صنف منهم أخلف بدله صنفا ، فالزرع أكثر من الجداد ، والثمرة أنمى من الحصاد . وهذا العدو المقاتل — قاتله الله — قد رز عليه من الخنادق أدراعا متينة ، واستجن من الجنويات بحصون حصينة ، مصحرا ومتمنعا ، وحاسرا ومتدرعا ومواصلا ومنقطعا ، وكلما أخرج رأسا قد قطعت منه رووس ، وكلما كشف وجها كشفت من غطاء أجسادها نفوس ، فكم من يوم أرسلوا أعنة السوابق فندموا عقبى إرسالها ، وكم من ساعة فضوا فيها أقفال الخنادق فأفضى إليهم البلاء عند فض أقفالها ، إلا أن عددهم الجم قد كاثر القتل ، ورقابهم الغلب قد قطعت النصل لشدة ماقطعها النصل ومن قبل الخادم من الاولياء قد أثرت المدة الطويلة ، والكلف الثقيلة ، فى إستطاعتهم لا فى طاعتهم ، وفى أحوالهم لا فى شجاعتهم ، فالبرك قد أنضوه ، والسلاح قد أحفوه ، والدرهم قد أفنوه ، وكل من يعرفهم من أهل المعرفة ،

ويراهم بالعين فما هم مثل من يراهم بالصفه ، يناشد الله المناشدة النبوية ، في الصيحة البدرية ، اللهم أن تهلك هذه العصابة ، ويخلص الدعاء ويرجو على يد أمير المؤمنين الاجابة . هذا والساحل قد تماسك،وما تهالك ، وتجلد ، وما تبلده وشجعته مواعد النجدة الخارجة ، وأسلته عن مصارع العدة الدارجة ، فكيف به إذا خرج داعية الألمان ، وملوك الصلبان ، وجموع ماوراء البحر ، وحشود أجناس الكفر ؟وقد حرم باباهم — لعنة الله عليهم وعليه — كل مباح واستخرج منهم كل مذخور ، وأغلق دونهم الكنائس ، ولبس وألبسهم الحداد ، وحكم عليهم أن لايزالوا كذلك أو يستخلصوا المقبرة ، ويعيدوا القمامة (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم)(١)

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى : جـ ٧ ص ١٢٦ — ١٢٨ .

غرق فردريك بربروسا ووفاته :

وفى أثناء الاضطراب الذى ساد البلاد الإسلامية فى تلك الفترة ، ومحاولة الإستعداد لمواجهة الخطر المحدق ببلاد الشام من جانب حملة فردريك بربروسا ، تدخل القدر لينقذ الموقف : بوفاة الامبراطور فردريك الأول بربروسا نفسه غريقا فى نهر السالف Salf بقليقية فى الحادى عشر من شهر يونيو عام ١١٩٠ م[١] .

واختلفت آراء المؤرخين فى تعليل أسباب وفاة فردريك بربروسا المفاجأة، فيشير البعض إلى أنه انزلق بفرسه فى أعماق نهر السالف[٢] . ويروى البعض الاخر أن فردريك بربروسا أراد إنعاش نفسه بالاستحمام فى مياه نهر السالف، غير أن برودة ماء النهر أصابت فردريك بمرض توفى على أثره[٣] . ويشير مؤرخ آخر إلى أن فردريك بربروسا أثناء الاستحمام بنهر السالف جرفه تيار

---

(١) Finlay. op. cit ,vol 3,p 236,

Stevenson. op. cit, p 264,
Lane poole . Saladin, p. 253
Austin Lane poole. op cit, p 412.

(٢) Stevenson. op. cit, p 264

(٣) أبو شامة : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٥٦ ، سبط بن الجوزى :المصدر السابق جـ ٨ ق ١ ص ٤٠٣ .

النهر فماتت على الفور ، وأخرج جثة هامدة من ذلك النهر[1] وتروى بعض المصادر الأخرى أن التيار عندما جرف فردريك بربروسا جعله يصطدم بشجرة ضخمة شجت رأسه ، ففقد وعيه ، وأخرج من النهر جثة هامدة[2] . ولم يلبث أن توفى بعد ذلك بأيام قليلة [3] وتشير بعض المصادر العربية إلى رسالة أرسلها ليو الثانى أمير أرمينية ، إلى السلطان صلاح الدين الأيوبى يشرح له فيها أسباب وفاة فردريك بربروسا بقوله ، إن فردريك بربروسا « نزل على شط بعض الأنهار ، فأكل خبزا ونام ساعة ، وانتبه ، فتاقت نفسه إلى الاستحمام فى الماء البارد ، فمكث أياما قلائل ومات[4] » .

ومهما كانت أسباب وفاة فردريك بربروسا ، فإن الشيء الثابت هو أن فردريك بربروسا توفى دون تحقيق هدفه فى المشاركة فى استعادة بيت المقدس من يد صلاح الدين الأيوبى[5] .

ومن الطريف أن أصحاب فردريك بربروسا — وفقا للروايات العربية — « سلقوه فى خل وحملوا عظامه ليدفنوه فى القدس[6] » .

---

(١) Tout. op. cit, p.300

(٢) عماد الدين الأصفهانى : المصدر السابق ص ٢٩١ ،

Thompson. op. cit, ,p 25.

(٣) Finlay. op. cit, vol. 3, p. 237.

(٤) ابن شداد : المصدر السابق ص ١٢٤

(٥) Thompson. op. cit., p. 204,

Lane Poole : op. cit, p. 253.

(٦) سبط بن الجوزى : المصدر السابق جـ ٨ ق ١ ص ٤٠٣ .

أحوال الحملة الألمانية بعد وفاة فردريك بربروسا :

أحدثت وفاة فردريك بربروسا المفاجأة على النحو السابق ، رد فعل عنيف على مسيحي الشرق، إذ خاب أمل الصليبيين بعكا وصور، الذين طال إنتظارهم لوصول جيوش فردريك بربروسا لمساندتهم ضد صلاح الدين[1] . وفي نفس الوقت بدأ الجيش الألماني نفسه يتمزق نتيجة وفاة قائده فردريك بربروسا[2] . خاصة وأن فردريك السوابي — الابن الثاني لفردريك بربروسا والذي كان مصاحبا حملة أبيه الصليبية — وهو الذي تولى قيادة الحملة الألمانية بعد وفاة والده[3] . لم تكن لديه نفس كفاية أبيه العسكرية مما أدى إلى تدهور أحوال الجيش الألماني. ومن جهة ثانية لم يكن معظم أمراء وقادة الجيش الألماني موالين لفردريك السوابي ، وآثروا عدم البقاء معه بالشرق والعودة إلى أوربا وخدمة أخيه هنري السادس الذي كان يلي عرش ألمانيا في غياب والده فردريك بربروسا . ومن جهة ثالثة فقد الجيش الألماني مجموعة كبيرة من جنده أمام هجمات الفرقة

---

(١) Cam . med. Hist, vol 4,p 632 .

(٢) Finlay : op. cit, vol 3, p. 236 ,

Tout : op. cit, p 300 .

(٣) ابن أيبك : الدر المطلوب ص ١٠٥

Oldenbourg : Les croisades, p. 465

العسكرية التى أرسلها صلاح الدين لوقف تقدم الحملة الالمانية[1] .

وعلى الجملة كما ذكر أحد المؤرخين أنه بوفاة فردريك بربروسا أصبح من المقرر فشل الحملة الالمانية وتدهور روح الجيش الالمانى[2] .

وبالنسبة لاثر وفاة فردريك بربروسا على ليو الثانى أمير أرمينية ، فتشير المصادر إلى أن ليو الثانى فقد أمله فى الحصول على التـــاج بوفاة فردريك بربروسا[3] ، لذلك أشاح بوجهه عن مساعدة فردريك السوابى ابن فردريك بربروسا ، وتركه « وانقطع عنه »[4] . وعاد إلى حصونه وقلاعه[5] . فى وقت كان فيه فردريك السوابى محتاجاً إلى مساندة ومعاضدة ليو الثانى الارمنى بعد أن فقد جزءاً كبيراً من الجيش الالمانى . مما أدى إلى أن أخذ فردريك السوابى فى التوسل لليو الثانى واستعطافه من أجل معاضدته والوقوف إلى جواره فى المحنة التى حلت به[6] .

وزاد حالة فردريك السوابى سوءاً ، ذلك الوباء الذى انتشر داخل المعسكر

(١) Stevenson, op. cit,p. 265

(٢) Tout : op. cit, p 300.

(٣) Cam . med. Hist, vol 4, p. 632 .

(٤) أبو شامه : الروضتين جـ ٢ ص ١٥٦ .

(٥) ابن شداد : سيره صلاح الدين ص ١٢٤ .

(٦) المصدر السابق نفس الصفحة،
أبو شامه : الروضتين ص ١٥٥ — ١٥٦ .

الألماني أثناء تواجده بأرمينية ، فقد أصيب فردريك السوابي هو وجنده بعدة أمراض أدت إلى زيادة ضعف الجيش الألماني(١) . وأدى هذا الموقف الصعب الذي أمسى فيه فردريك السوابي وضعف قواته ، إلى طمع ليو الثاني الأرمني نفسه في الاستيلاء على معدات الجيش الألماني وماالديه من أموال وذخيرة(٢) .

ومن ناحية أخرى عندما أحس ليو الثاني الأرمني بضعف الجيش الألماني وعندم تحقيق أمله في الحصول على التاج والمساعدات اللازمة له من أجل الوقوف أمام أعدائه ، بادر بتجديد ما كان بينه وبين صلاح الدين الأيوبي من اتفاق وتفاهم ، وأرسل إليه يخبره بوفاة فردريك بربروسا ، شارحاً له حالة الجيش الألماني عقب وفاة فردريك وما أصاب الجند الألمان من ضعف . ومما جاء في هذه الرسالة التي أرسلها ليو الثاني إلى صلاح الدين أن بالجيش الألماني عدد كثير ، ولكنهم ضعفاء ، قليلوا الخيل والعدة ، وأكثر ثقلهم على حمير وخيل ضعيفة ... ولقد وقفت على جسر يعبرون عليه لاعتبرهم ، فعبر منهم جمع عظيم ماوجدت مع واحد منهم طارقة ولارمحا الا النادر ، فسألتهم عن ذلك فقالوا أقمنا بمرج وخيم أياما ، وقلت أزوادنا وأحطابنا فوقدنا معظم عددنا

---

(١) Tout : op . cit, p. 300

(٢) ابن شداد : المصدر السابق ص ١٣٠،
أبو شامه : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٥٦ — ١٥٧ .

وماته منا خلق عظيم ، واحتجنا الى الخيل ، فذبحناها وأكلناها ، وأوقدنا الرماح والعود لإعواز الحطب »[1] .

وعندما علم صلاح الدين الايوبى بذلك الضعف الذى حل بالجيش الالمانى ، وتفكك قواته ، اطمأن إلى الاوضاع ببلاد الشام ، ولم يعد يخشى من الجيش الالمانى[2] ، لذلك أرسل فى إستدعاء بعض الجيوش التى سبق وأن اتجهت إلى الشمال للوقوف أمام تقدم الجيش الالمانى الزاحف ، وذلك لكى تشارك تلك الجيوش فى حصار الصليبين بكل من عكا وصور .

* * *

وبعد أن تماثل فردريك السوابى للشفاء ، بادر بإنفاذ جيشه إلى أنطاكيه ، بعد أن دعاه صاحبها بوهيموند الثالث (١١٦٣ — ١٢٠١ م) للاقامه معه بأنطاكيه . وتشير بعض المصادر إلى أن الذى دفع بوهيموند الثالث إلى دعوة فردريك السوابى الاقامه بأنطاكيه هو توقعه لوفاة فردريك السوابى بعد اصابته بالمرض ، وطمعه فى أمواله ومعدات الحمله الالمانية[3] . وبلغ الضعف مبلغا كبيرا فى الجيش الالمانى وتضاءل عدده إلى درجة أن قدره بعض المؤرخين بمائتى ألف فقط[4] بعد أن كان عدده عند خروج الحملة من راتسبون يبلغ ستمائة ألف

---

(١) أبو شامة : المصدر السابق حـ٢ ص١٥٧ .

(٢) Lane Pool, Saladin, op. cit, p. 268

(٣) أبو شامة : المصدر السابق حـ٢ ص١٥٧ .

(٤) Stevenson : op. cit, p.265

مقاتل ، »(١) بالاضافة إلى ما سادهم من ضعف وذل وانقسام(٢) ووصف عماد الدين الاصفهانى جيش فردريك السوابى الزاحف على أنطاكية بأنه كان «أكثرهم حالة عصى وركاب حمير ، غير عارفين بطريق ، ولا متحفظين فى مسير ، والناس يلتقطونهم ويتخطفونهم »(٣) .

وبعد وصول جيش فردريك السوابى الى أنطاكيه ، رحب به بوهيموند الثالث وفتح له باب القلعة وأسكنه بها ، متوقعا — كما سبق أن ذكرنا — قرب وفاته . غير أن الاقدار شاءت ألا تحقق شيئا من أحلام وآمال بوهيموند الثالث ، فعوفى فردريك وشفى تماما من مرضه ، مما أدى الى تضايق بوهيموند الثالث ، لذلك أشار على فردريك السوابى بالتوجه الى حلب لمواجهة الظاهر غازى الاول الأيوبى (١١٨٦ — ١٢١٦ م)(٤) . كما أشار عليه كذلك بالتوجه الى عكا ونجدة الصليبين بها وانقاذهم من حصار صلاح الدين الأيوبى .(٥) وعلى هذا النحو يتضح لنا موقف بوهيموند الثالث صاحب أنطاكيه من الحملة الالمانية ، التى ماحضرت الى بلاد الشام إلا لمد يد المساعدة لصليبيى الشام .

---

(١) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٤٠٣ .

(٢) Lane_poole : Saladin. p. 268

(٣) الفتح القسى ص٣٩٥ ،

أبو شامة : الروضتين جـ٢ ص١٥٦ .

(٤) أبو شامة : الروضتين جـ٢ ص١٥٦ .

(٥) ابن خلدون : العبر جـ٥ ص٣٢١—٣٢٢ .

وبالإضافة إلى ما سبق من أخطار تعرض لها الجيش الألمانى ، فإن الجيوش الاسلامية التي أرسلها صلاح الدين الأيوبى إلى مدينة حلب للوقوف أمام الجيش الألمانى بدأت هى الأخرى فى مهاجمة الجيش الألمانى[1] ، مما أدى إلى فقدان عدد كبير من جنود الجيش الألمانى ، وتدهور قوة فردريك السوابى ، فهامت الألمانية بعد تلك المهابة فى الأنفس ، وباعوهم فى الأسواق بالثمن البخس[2] .

وعندما ضاق فردريك السوابى ذرعا بالمقام بأنطاكية فكر فى الرحيل عنها ليلا إلى أحد البلاد القريبة من أنطاكية ، التى بيد الصليبيين ، وأعتقد أن بلدة بغراس التى تبعد عن أنطاكية بأربعة فراسخ[3] ، أنها مازالت تابعة للصليبيين، دون أن يعلم أن السلطان صلاح الدين استولى عليها عام ٥٨٤ هـ (١١٨٨م) . وبالفعل حمل فردريك السوابى أمواله وسلاحه وتوجه سراً إلى قلعة بغراس ، لكن كانت المفاجأة عندما وجد أنها بيد المسلمين ، ففر هارباً تاركا الأموال والعتاد تقع فى يد صاحب بغراس « بغير طعن ولاضرب » ، وعاد إلى أنطاكية. وانتهز صاحب حلب تلك الأخطار التى تعرض لها فردريك السوابى ، وأرسل بعض جيشه لتتبع فلول الجيش الألمانى الهارب ، وظفر بعدة انتصارات وعاد جيشه إلى حلب بعدد كبير من أسرى جند فردريك السوابى « وباعوهم فى

---

(١) Stevenson . op. cit,p.265

(٢) أبو شامة : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٥٦ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٤٦٧ .

الأسواق ، فطابت قلوب الرعايا[1] » .

ونتيجة لما تعرض له فردريك السوابى والجيش الألمانى من أخطار أثناء تواجده بأنطاكية ، وتبرم صاحب أنطاكية من بقاء فردريك السوابى بها ، قرر فردريك السوابى الرحيل عنها والاتجاه صوب عكا ، للمشاركة مع صليبى الشام فى الجهاد ضد صلاح الدين الأيوبى . وفى يوم الأربعاء الموافق الخامس والعشرين من شهر رجب عام ٥٨٦ هـ (١١٩٠م)[2] توجه فردريك السوابى على رأس جيشه الذى تناقص عدده تناقصا ملحوظا ، فأصبح يبلغ أربعين ألف محارب فقط[3] ، إلى عكا ، متخذا طريق اللاذقية — جبلة — طرابلس ، ولم يترك المسلمون الجيش الألمانى يسير بحرية إلى طرابلس ، فخرجت إليهم حاميات جبلة واللاذقية « وسقتهم كئوس المنيه ، وألقتهم على البؤس والبلية » ، وقتل من الجيش الألمانى عدد كبير أثناء سيره إلى عكا ، لدرجة أن أحد المؤرخين قدر بقايا الجيش الألمانى التى وصلت أخيرا الى طرابلس بعشرين ألف محارب فقط[4] .

وعندما وصل فردريك السوابى بجيشه الصغير إلى طرابلس ، فضل أن يتخذ

---

(١) الأصفهانى : الفتح القسى ص ٣٩٦ .

(٢) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ١٣٦ ،
أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ١٦٠ .

(٣) ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٣٢٢ .

(٤) الأصفهانى : المصدر السابق ص ٣٩٦ .

الطريق البحرى ، بدلا من السير برا ، وذلك لينضم إلى صفوف المقاتلين بعكا، غير أن من سوء طالع فردريك السوابى أن ريحا عاصفة عصفت بتلك السفن التى كان يقلها فردريك السوابى وأفراد جيشه ، ولم يصل إلى عكا سوى سفينة فردريك ومن فى صحبته من جند وحرس(١) .

وعلى هذا النحو تفتت الحملة الألمانية التى قادها الامبراطور فردريك بربروسا فى جمع كبير منظم ، بقصد استعادة بيت المقدس ، ليضفى على نفسه نصراً جديداً ، وفخراً كبيرا . وانتهت هذه الحملة نهاية مؤسفة ، بوفاة قائدها فردريك بربروسا ، ثم تشتيت شمل جنودها بالصورة التى عرضناها(٢) .

وجدير بالذكر أن العدد القليل لبقايا الحملة الالمانية والذى وصل سالما إلى عكا قدره بعض المؤرخين بألف جندى فقط(٣) وقدره البعض الآخر بخمسة آلاف جندى «فانظر إلى صنع الله مع أعدائه »(٤) .

---

(١) الاصفهانى : المصدر السابق نفس الصفحة ،

Stevnson . op. cit , P, 265

(٢) Hayward . oP. cit, P. 190,

Tout . oP. cit , P 300,

Stevenson . oP. cit, P. 265

(٣) الاصفهانى : البرق الشامى (الروضتين ح ٢ ص ١٥٦) .

(٤) أبو شامة : الروضتين ح ٢ ص ١٦٠ .

وانظر أيضا :

Thompson . oP . cit, P. 204 .

المصادر والمراجع والفهارس

المصادر والمراجع

(أ) المصادر والمراجع العربية :

- ابن الأثير : أبى الحسن على بن ابى الكرم محمد بن عبد الكريم الشيبانى الجزرى (ت ٦٣٠ ه) الكامل فى التاريخ .

المطبعة الأزهرية ١٣٠١ ه

- ابن أيبك : ابى بكر بن عبدالله (ت ٧٦٩ه)
الدر المطلوب فى ملوك بنى ايوب .

القاهرة ١٩٧٢م .

- ابن جبير : ابى الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤ه) رحلته المسماه :
تذكرة بالأخبار عن إتفاقات الاسفار

طبعة جب

- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ه) العبر وديوان المبتدأ والخبر
القاهرة ١٢٨٤ه

- ابن شداد : بهاء الدين ابو المحاسن يوسف (ت ٦٢٢ ه) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو : سيرة صلاح الدين .

القاهرة ١٩٦٤

- ابن العبرى : ابى الفرج بن هرون الملطى (ت ٦٨٩ه) تاريخ مختصر الدول
بيروت : ١٨٩٠م

- ابن العديم : كمال الدين أبو القاسم عمر (ت ٦٦٠هـ) زبدة الحلب في تاريخ حلب

دمشق ١٩٥٤ — ١٩٥٨ .

- ابن القلانسي: ابو يعلى حمزه (ت ٥٥٥هـ)
ذيل تاريخ دمشق

بيروت : ١٩٠٨م

- ابو شامه : شهاب الدين ابي محمد (ت ٦٦٥هـ) الروضتين في أخبار الدولتين النوريه والصلاحيه

القاهرة ١٢٨٧هـ

- ابو الفدا : عماد الدين أسماعيل (ت ٧٢٢هـ)
المختصر في أخبار البشر

القاهرة ١٣٢٥هـ

- حامد زيان : العلاقات بين جزيرة صقلية ومصر والشام .
حلب في العصر الزنكي .

- رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبيه

بيروت ١٩٦٧

- زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة

القاهرة ١٩٥٢

- سبط بن الجوزي : يوسف بن قزاوغلي (ت ٦٥٤هـ) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان

حيدر آباد ١٨٥١

ـــ سعيد عاشور : الحركة الصليبية

القاهرة ١٩٧١

المماليك وارمينية الصغرى القاهرة ١٩٦٩

أوربا العصور الوسطى

القاهرة ١٩٧٥

ـــ عماد الدين الاصفهاني : (ت ٥٩٧هـ)

الفتح القسى فى الفتح القدسى

القاهرة ١٩٦٥

ـــ القلقشندى : ابى العباس أحمد (ت ٨٢١هـ) صبح الاعشى فى صناعة الانشا

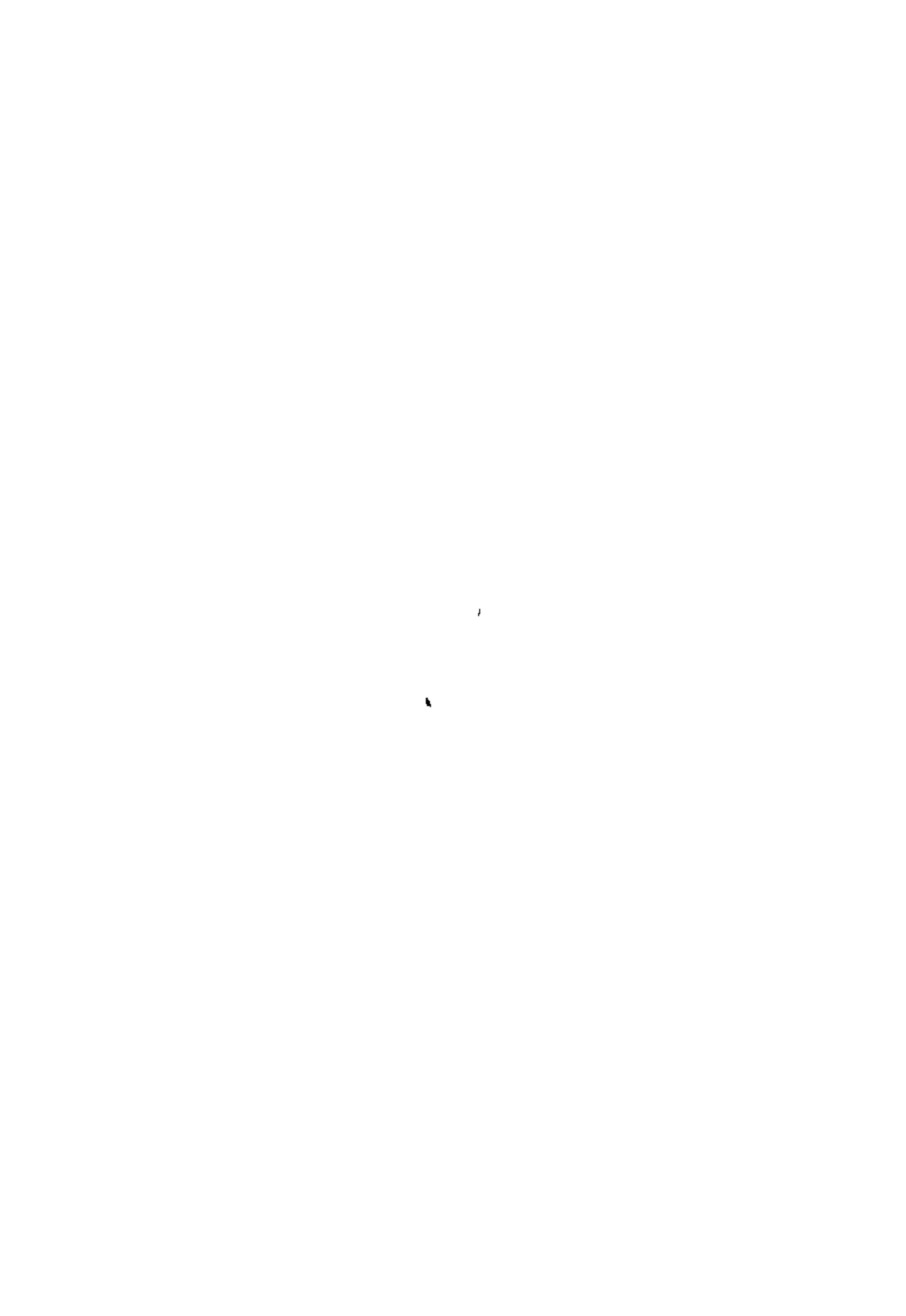
طبعة دار الكتب

ـــ المقريزى : تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ) السلوك لمعرفة دول الملوك

القاهرة ١٩٥٦

ـــ ياقوت : شهاب الدين ابى عبدالله الحموى (ت٦٢٦هـ) معجم البلدان

ليزج ١٨٦٧م



المراجع الاجنبية

(1) Archer (T.A.) :

The Crusades

London, 1919

(2) Austin Lane Poole (M.A.):

Fredrick Barbarossa and Germany

(Cam.Med.Hist, vol 5).

(3) Barraclough (G.) :

The Origins of modern Germany

Oxford, 1947.

(4) Bryce (j) :

The Holy Roman Empire

London, 1907

(5) Diehl (C) :

Hist of the Byzantine Empire.

Pranceton, 1925.

(6) Finlay :

Hist of the Greek

(7) Grousset (R) :

Hist des Croisades.

Paris, 1934

(8) Hayward (F.) :

A history of the popes.

London, 1931.

(9) Lane Peole (S) :

Saladin and the fall of the Kingdom of Jerusalem

London, 1926.

(10) Oldenbourg (Z) :

Les Croisades

U.R.ss, 1966

(11) Ostrogorsky (G) :

Hist of the Byzantine State

Philadeephia, 1957.

(12) Painter (S.) :

A hist of the middle ages

New York, 1954.

(13) Stevenson (W.B.) :

The Crusaders in the East

Berut, 1968.

(14) The Late Count UGo Bal Zani :

Fredrick Barbarossa and the Lombard League.

(Cam. Med. Hist. vol 5).

(15) Thompson (J.W) :

Hist of the middle ages.

London, 1931.

(16) Tout (T.F.) :

The Empire and the Papacy
London, 1924.

(17) William of Tyre :

The history of deeds beyond the sea
Colombia, 1943.



الفهارس

أولا : فهرس الأعلام والاسماء

(ا)

(س)

(ش)

(ص)

(ظ)

(ع)

(ف)

فردريك الاول (بربروسا): ١ — ٢ — ٣ — ٦ — ١١ — ١٢ — ١٣ — ١٤ — ١٥ — ١٦ — ١٧ — ١٨ — ١٩ — ٢٠ — ٢٢ — ٢٣ — ٢٤ — ٢٥ — ٢٧ — ٢٨ — ٢٩ — ٣٠ — ٣١ — ٣٢ — ٣٣ — ٣٤ — ٣٦ — ٣٧ — ٣٨ — ٤٠ — ٤١ — ٤٢ — ٤٣ — ٤٤ — ٤٥ — ٤٦ — ٤٧ — ٤٨ — ٤٩ — ٥٠ — ٥١ — ٥٢ — ٥٤ — ٥٥ — ٥٦ — ٥٨ — ٥٩ — ٦٠ — ٦١ — ٦٢ — ٦٧ .

فردريك السوابى : ٢٠ — ٥٠ — ٦٠ — ٦١ — ٦٢ — ٦٣ — ٦٤ — ٦٥ — ٦٦ — ٦٧ .

فلاى : ٢٧

(ق)

قطب الدين ملكشاه : ٤٣ — ٤٤ — ٤٥ — ٤٨ — ٤٩

قسطنطين : ٦٢

قليج ارسلان : ٤٣ — ٤٤ — ٤٥ — ٤٦ — ٤٧ — ٤٨ — ٤٩

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(ه)

(و)

ثانيا : فهرس البلدان والمواضع والبحار والأنهار

(أ)

(ب)

(ج)

(ح)

(د)

(ن)

(ي)

تصويب الاخطاء

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
٥	٣	١١٦٢	١١٩٢
٦	٥	بالقسنطينية	بالقسطنطينية
٦	حاشية	Tygre	Tyre
١٠	١١	كوزاد	كونراد
١٤	٧	فروريك	فردريك
١٤	٩	بربروما	بربروسا
١٥	٨	بعدم إتفاق	بعدم عقد إتفاق
٢١	١٢	الامبراطور الاول	الامبراطور فردريك الاول
٢١	حاشية	=	(١)
٢٥	١١	سوانيا	سوابيا
٢٨	١٠	فروريك	فردريك
٣٢	١٣	أورياتويل	أدرياتويل
٣٤	١	فروريك	مردزيك
٣٤	٤	البيزنطيين	البيزنطى
٥٠	١	فروريك	مردزيك
٥٢	١١	ابن لافون	ابن لاون
٥٨	٣٠٢	فروريك	فردريك

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧٧/٢٧٠١م
الترقيم الدولى ١ ـ ٢٠ ـ ٧٢٥٧ ـ ٩٧٧

مطبعة دار نشر الثقافة
٥ شارع كامل صدقى بالفجالة
ت ٩١١٠٧٦

الموضوع	الصفحة

رقم الايداع بدار الكتب
٢٧٠١ / ١٩٧٧م
الترقيم الدولى ١ ــ ٢٠ ــ ٧٢٥٧ ــ ٩٧٧

مطبعة دار نشر الثقافة
[illegible]
٩٤١٠٧٦